الصّراط

الرقم الـ ١١٠ جمادي الأولى ١٤٤٥

فاطمة الزهراء عليها سلام الله

الحديث عن النهاية

إختيار نموذج للأسرة

المهدي عجل الله فرجه
مؤسس دولة الحق

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله:
«خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله عشية عرفة، فقال: «... هذا جبرئيل يخبرني أنّ السّعيد كلّ السّعيد حقّ السّعيد من أحبّ علياً في حياته وبعد موته، وأنّ الشّقي كلّ الشّقي حقّ الشّقى من أبغض علياً في حياته وبعد وفاته.»

الشيخ الصدوق، «الأمالي»، ص ٢٤٨، ح ٢٧٠.

«شهرية صراط الإلكترونية»
إيران – طهران
ص. ب: ١٤١٥٥-٨٣٤٧
فاكس: +٩٨٢١٦٦٤٥٩٠٢٣

البريد الإلكتروني:
email: mouoodasr@gmail.com

المواقع:
www.mouood.org
https://www. facebook.com/mouood.org

الفهرس

منوعات

أخبار المسلمين في العالم: أحدث الأخبار في العالم الإسلامي / ٤
خليفة اللّه الإنسان الكامل: الانسان والمعرفة / ٦
الشعر والأدب: ونحن فداها / ٩
الأسئلة والأجوبة: قولة اليهود: يد اللّه مغلولة! / ١١
تقديم الكتاب: البدر الأزهر في مناظرات ليالي بيشاور / ١٤

الدراسات الثقافية

الغرب وآخرالزمان: الحديث عن النهاية / ١٦
العالم بين السادة والعبيد - أهم السلالات التي تتحكم وتسيطر على العالم: سلالة روتشيلد اليهودية (عصابة الخمسة) / ١٨
العولمة والعالمية المهدوية: المسلمون ومواجهة أخطار العولمة الأمريكية واليهودية / ٢٤
فرسان الهيكل وأسس الماسونية - الفروسية: تنظيم الفرسان / ٢٩
تاريخ الشيعة في البلاد: سوريا - القسم الثاني / ٣٢
الأسرة المهدوية: إختيار نموذج للأسرة / ٣٦

الدراسات المهدوية

دعوي السفارة: النصاري وفتنة قتل عيسى عليه السلام / ٣٨
التعاليم المهدوية: مفهوم الغيبة وأسبابها / ٤١
اليوتوبيا والديستوبيا والدولة المهدوية الكريمة: المهدي عجل الله فرجه، مؤسّس دولة الحق وآخر الدول / ٤٥
الامام المهدي عجل الله فرجه و مستقبل العالم: علاقة البداء بعلامات الظهور - القسم الثاني / ٤٨
أسباب الدعاء لإمام الزمان عجل الله فرجه: ولايت الإمام عجل الله فرجه للّه تعالى و ولايتنا له و ولايته علينا / ٥١

الحياة الإيمانية

المستبصرون: ماريا سلفادور (إيمان بشير) / ٥٤
التذكارات الإرشادية: دار المعاد / ٥٧
الطريق السالمة: باب الصدق في الزهد و كيف هو؟ و ما هو؟ / ٥٨

معرفة الإمام

الشيعة و الحاكمون: بنو العباس / ٦٠
خير البريّة: صاحب حوض النبيّ صلى الله عليه وآله / ٦٣

يجب استغلال المعاناة الإنسانية بغزة كسلاح للردع

دعا محلل إسرائيلي في مقال له بـ«صحيفة هآرتس» لاستغلال المأساة الإنسانية الخانقة التي يعيشها «قطاع غزة» لتحقيق مكاسب سياسية إستراتيجية لإسرائيل.

وقال **زئيفي بارئيل** إن هذه الأزمة تمنح إسرائيل نفوذا دبلوماسيا يتيح لها الحصول على تنازلات من «مصر»، وقدرة على كبح الاندفاع الأميركي نحو حل الدولتين.

وأكد أن الأزمة الإنسانية تعد جزءا من ترسانة تحت تصرف إسرائيل يمكن استخدامها ليس فقط كورقة مساومة في المفاوضات حول إطلاق سراح الرهائن، بل لتغرس في الوعي الفلسطيني «العقاب المروع» الذي سيواجه أي شخص يجرؤ من الآن فصاعدا على تحدي إسرائيل.

وتابع بأن هذا التصور يعد استمرارا للمفهوم الإستراتيجي المتجذر الذي يؤمن بأن المعاناة الإنسانية يمكن أن تفضي إلى مكاسب أمنية لإسرائيل، وهو المفهوم الذي يعتبر حصار غزة «واقعا لا غنى عنه».

وليس مهما إذا كان حصار غزة قد استمر ١٧ عاما دون أن يمنع شن هجمات على إسرائيل، وعمليات عسكرية ضد القطاع، ومن غير أن يحول دون وقوع الحرب الحالية، على حد تعبير بارئيل، الذي أضاف بأنه يمكن للمرء أن يفترض بقدر من الثقة أنه حتى لو اجتثَّت حركة «حماس»، فإن إسرائيل **لن تترك حصارها لغزة، وحتى لو لم توفر الأمن فإنها تُؤمّن الرقابة على غزة.**

والأهم من ذلك، أن الأزمة الإنسانية في غزة تمنح إسرائيل نفوذا دبلوماسيا يتيح لها الحصول على تنازلات من مصر – مثل السيطرة المستقبلية على معبر رفح الحدودي حتى بعد الحرب – أو إصلاح العلاقات مع الأردن مقابل تخفيف الأوضاع في غزة، مما يقلل الضغوط الداخلية على النظام الأردني، طبقا لهآرتس.

ويتابع التقرير بأن استغلال الأزمة الإنسانية سيمكن من كبح الاندفاع الأميركي نحو التوصل إلى حل الدولتين. وهنا أيضا يمكن «الاقتداء بالنموذج السوري».

وذكر المقال بأن «الولايات المتحدة» كانت قد نأت بنفسها عن أي التزام بحل دبلوماسي في سوريا رغم أنها شاركت في صياغة قرارات الأمم المتحدة التي وضعت الأساس لترتيبات مستقبلية في تلك الدولة العربية. وبالمقابل، ركزت منذ ذلك الحين على محاربة تنظيم الدولة.

وأضاف بأن وزير الخارجية الأميركي **أنتوني بلينكن** حدد مؤخرا عناصر خطة واشنطن للفترة التي تلي الحرب بين إسرائيل وحماس، تشمل عدم التهجير القسري للفلسطينيين من غزة، وعدم استخدام غزة كمنصة للإرهاب أو غيره من الهجمات العنيفة، على حد زعمه.

وبحسب بارئيل فلا يتضمن المخطط الأميركي مطالبات بتقليص حجم العمليات العسكرية في الوقت الراهن، ولكن هناك إصرار على وضع حدود لمقدار الضرر الإنساني المسموح بإلحاقه للمدنيين، وهي الحدود التي انتهكتها إسرائيل بالكامل، كما يؤكد الكاتب الإسرائيلي نفسه.

وانتقد بارئيل عناصر المخطط الأميركي حيث يقول إن بلينكن يستطيع أن يعلن إلى الحد الذي يشعر فيه بالرضا أنه لن يكون هناك تهجير لسكان غزة أثناء الحرب أو بعدها، لكن التهجير يحدث بالفعل.

لكنه عاد ليقول إن على إسرائيل أن تعمل على العناصر الإيجابية في المخطط للتوصل إلى سلام مستدام.

وتأتي بعد ذلك الوصفة الأميركية التي يتعين بموجبها أن تشتمل تلك الخطوات على حكومة بقيادة فلسطينية وتوحيد غزة مع الضفة الغربية تحت إدارة السلطة الوطنية الفلسطينية، وهو ما انتقده بارئيل قائلا إن هذا الطرح يتناقض تماما مع إعلان رئيس الوزراء الإسرائيلي **بنيامين نتنياهو** الذي ينص على احتفاظ إسرائيل بالسيطرة الأمنية الكاملة على غزة لفترة غير محدودة.

صحيح أن مخطط بلينكن – طبقا لبارئيل – لا يتضمن جدولا زمنيا للتنفيذ أو تفاصيل بشأن الآلية التي ستسمح بإجراء المفاوضات حول المخطط، ولا حتى تفسيرا عمليا لمن سيكلف بإعادة تأهيل قطاع غزة، إلا أنه يمثل سياسة أميركية **حازمة تستوجب من إسرائيل الوقوف في وجهها.**

المصدر: شفقنا العربي.

الانســان والمعــرفة

هل المعرفة ممكنة للإنسان؟

«القرآن» لا يقول بعدم المعرفة وامتناعها، بل يؤكد على إمكانيتها؛ من هنا فإن القرآن لا يدعو إلى أمر محال:

«وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا»[١]

وهذا يعني أن الإنسان يملك إمكانية لا متناهية للمعرفة، والقرآن عندما يتحدث عن آدم، فإنه يطرح الموضوع من باب إمكانية المعرفة وإمكان تملكها. إنه يقول لنا جميعا أنتم أبناء **آدم**عليه السلام؛ أبوكم آدم الذي وصلت معرفته إلى هذا الحد، أنتم أبناء آدم الذي امتلك معرفة غير متناهية؛ لذلك عليكم السير باتجاه تلك المعرفة اللامتناهية.

القرآن يتوجه إلى الإنسان ويدعوه إلى النظر والتفكر في أمر السماء والأرض، يقول له اذهب وتعرف إلى كل ما هو موجود. أيها الإنسان إعرف نفسك، إعرف العالم، إعرف ذاتك وتاريخك:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ»[٢]

والمعنى الدقيق لذلك أن الله تعالى:

«وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ»[٣]

الله تعالى دلّ الناس وعرّفهم على أنفسهم، قال للإنسان أنظر إلى نفسك بنفسك، واعرف نفسك بنفسك، إن معرفة الإنسان نفسه بنفسه يعني أن معرفة النفس قريبة إلى هذا الحد من معرفة الله:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه.»[٤]

جملة معروفة ومشهورة في العالم، ولكن لم يستطع أحد أن يبين ذلك أجمل وأبلغ من بيان القرآن، لأن جملة: من عرف نفسه فقد عرف ربه، المعرفة اللازمة فيها واحدة، معرفة النفس. والأخرى معرفة الرب؛ أما في القرآن، فإن الله يقول أنه شديد القرب منك إلى حد أن معرفة النفس تكون كافية.

معارف الإنسان، وأقسامها

الإنسان مدرك لذاته، مدرك للعالم، وهو يرغب أن يكون أكثر إدراكا ومعرفة لذاته وللعالم، والتكامل والترقي في السعادة رهن هذين الإدراكين وهاتين المعرفتين معرفة الذات ومعرفة العالم؛ فالإنسان مدعو إلى معرفة الذات حتى يعرف الله. ويقول الإمام علي عليه السلام:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه». ويقول الإمام علي عليه السلام:

«أنفع المعارف معرفة النفس.»[٥]

«وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»[٦]

أنواع معرفة الذات

١. معرفة الذات الفطرية

إن الإنسان بالذات عارف لنفسه، يعني جوهر ذات الإنسان عارفة ومدركة، إن إيجاد «إنّية الإنسان» وإدراكها هو عين النفس وإدراكها؛ من هنا فإن الإنسان بنحو ما مدرك بالعلم الحضوري. والجدير ذكره أن علماء النفس يهتمون بالعلم الحصولي الذهني، بينما الفلاسفة يهتمون أكثر بالعلم الحضوري غير الذهني، وذلك فيما يتعلق ببحث إدراك الذات.

٢. معرفة الذات الفلسفية

الفيلسوف يجهد في معرفة حقيقة أنا مدرك نفسي من أكون؟ هل جوهر أم عرض؟ مجرد أم مادة؟ ما هي العلاقة مع الجسم؟ وبعبارة أخرى إن ما يطرح هنا هي الماهية وحقيقة الذات، أي ما هي وما نوعها وجنسها؟

٣. معرفة الذات العالمية أو الكونية

يعني معرفة الذات فيما يتعلق بعالم الإنسان، من أين أتيت، وفيما أكون، وإلى أين ذاهب. يقول الإمام علي عليه السلام:

«رحم الله امرءا علم من أين، وفي أين، وإلى أين.»[٧]

٤. معرفة الذات الطبقية

وهذا النوع من المعرفة هو نوع من معرفة الذات الاجتماعية؛ يعني معرفة النفس فيما يتعلق بالطبقات الاجتماعية التي يعيش الفرد بينها. بالطبع هذه المعرفة تساوي المعرفة النفعية أو الربحية، لأنه بناء على هذه الفلسفة فإن الحاكم والملاك الأصلي للفرد وبناء الشخصية الفردية، هو النفع المادي، وهو الشيء الذي يمنح الأفراد طبقة الوجدان المشترك، والذوق المشترك، والقضاء المشترك، بعبارة أخرى يعني الحياة المادية المشتركة، والنفع المادي المشترك؛ والماركسية تؤمن بهذا النوع من المعرفة.

٥. معرفة الذات القومية

يعني معرفة النفس من ناحية العلاقة بالناس والمجتمع الذي تربطه به رابطة القومية والنسل، فالإنسان عندما يعيش مع الآخرين حياة مشتركة، أو تربطه بجماعة معينة أو قوم ما حياة مشتركة، بالقانون المشترك، والآداب المشتركة، والتاريخ والنصر والهزيمة واللغة، والثقافة المشتركة، كل ذلك يجعله واحدة منهم، وجزءا لا يتجزأ من هذه الجماعة، وبالتالي يجد نوعا من الوحدة مع هذه الجماعة، وهذا يعني مثلما أن للفرد ذاتا، فإن جماعة ما أو أمة ما، وبسبب اشتراكها في الثقافة الواحدة يتكون لديها ذات قومية، وهذا النوع من المعرفة هو بخلاف معرفة الذات الطبقية، التي لها وجهة طبقية من ناحية القيم والإحساس والأمور الأخرى؛ بل لها وجهة قومية، ومع أن معرفة الذات القومية لا تدعي مقولة النفعية، إلا أنها ليست بعيدة عن الأنانية النفعية الذاتية؛ لذلك هي شبيهة بالطبقية الفاقدة للوجهة الأخلاقية.

٦. معرفة الذات الإنسانية

يعني معرفة النفس من ناحية العلاقة بجميع البشر، وهي تتكيء على هذا النوع من العلاقة، بمعنى أن الإنسان والبشر بشكل عام يشكلون وحدة واقعية.

يقول **فردوسي** الشاعر المعروف (ما ترجمته):

بني آدم أعضاء جسد واحد وهي مخلوق في جوهر واحد
إذا اشتكى يومة منه عضو تداعت له سائر الأعضاء

ويقول:

إنك إذا لم تحزن لمحنة غيرك فلا يليق بك أن تسمي آدمية

مع أن هذا النوع من المعرفة يبدو منطقية أكثر من الأنواع الأخرى، إلا أنه لم يلامس الواقع بشكل كبير؛ غير أن الإنسان الوحيد الذي وصل إلى الإنسانية من جهة النظرة الإنسانية الواقعية، وملاكها حقا، وانطباق قول أعضاء الجسد الواحد والروح الواحدة هو الإنسان المؤمن، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.»[٩]

لهذا يقول الإمام علي عليه السلام:

«أريد حباءه (ابن ملجم) ويريد قتلي.»[١٠]

٧. معرفة الذات العرفانية

معرفة النفس من ناحية العلاقة مع ذات الحق، وهذه العلاقة ليست علاقة موجودين بالعرض بل هي رابطة الفرع بالأصل، رابطة المجاز بالحقيقة، رابطة المقيد بالمطلق.

إن ألم العارف هو ألم باطني، بحيث يبدو حاجة فطرية، أما ألم الفيلسوف فهو ألم المعرفة، معرفة الحقيقة، بعبارة أخرى إن حاجة العارف حاجة باطنية فطرية، أما حاجة الفيلسوف فهي الحاجة إلى معرفة الحقيقة.

فألم العارف هو ألم الوصول والوحدة والمحو، هو ألم العشق والجذب، وهذا ليس موجودا في الحيوان، ولا في الملائكة. عندما يصبح الإنسان فانية وخارجة من ذاته ومحوة في الله تعالى، وعندها يعود إلى بحر الوجود الحقيقي، عندها يصل إلى المعرفة الواقعية الحقيقية للنفس.

٨. معرفة الذات الرسالية النبوية

النبي أيضا يملك معرفة إلهية للذات، أو يملك أيضا معرفة الذات الخلقية، فهو يتألم لله وللخلق، ويعشق الله والخلق، وهذا لا يعني أبدا الثنائية والتثنية، بمعنى أن جزءا في قلبه مع الله، والجزء الآخر مع الخلق؛ لأن الله لم يجعل له من قلبين في جوفه:

«مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...»[١١]

بل إن الأنبياء هم رجال التوحيد، ويعشقون الوجود ذرة ذرة، وذلك من جهة أن كل شيء منه تعالى، وكل شيء في الوجود مظاهر لأسمائه وصفاته، كل ما في الوجود، وكل ما أملك منه، أنا عاشق كل العالم، فكل العالم منه.

إن ألم الأنبياء هو ألم الإنسانية جمعاء، ولعلهم يصلون إلى حد الهلاك ألما على الناس:

«فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا»[١٢]

هناك فرق كبير بين المجتمع الذي يصنع ويربي من قبل الأنبياء، والمجتمع الذي يصنع من قبل المفكرين والمتنورين من البشر، الاختلاف بين هذين المجتمعين كاختلاف الأرض والسماء، وأصل الاختلاف بينهما أن الرسول يجهد لإيقاظ القوى الفطرية عند الإنسان، ويعمل لإذكاء الشعلة في وجود الإنسان، شعلة العشق الباطني والشعور المرموز عنده وفي وجوده، الرسول هو المذكر والموقظ وهو الباعث في الإنسان الأحاسيس والشعور تجاه كل الوجود، معرفة الذات هنا تنقل الذات إلى الناس بالنسبة إلى كل الوجود، أما المتنوّر فحده الأقصى إيقاظ الشعور الاجتماعي عند الأفراد، وتعريفهم بالمنافع والمصالح القومية والطبقية الخاصة بهم.

موانع المعرفة بالنسبة للانسان

إذا صفا ذهن الإنسان، وخلا من التكدر والعلائق، فإنه تظهر للإنسان الحقائق كما هي، يقول **مولوي:**

إذا حل الغرض ذهبت ضروب الفن والمعارف وغشى العين من القلب مئة حجاب.

إن آلة الفكر إنما صنعت ووجدت بشكل تمكّن الإنسان من رؤية الحقائق تبعا للصفاء الذهني والروحي، فإذا أخذت الروح بعاطفة خاصة منعت الإنسان من رؤية الحقائق كما هي، بل يراها مطابقة لتلك الحياة حيث الروح متعلقة بها. فالعشق والهوى من الأمور التي إذا ابتليت الروح بها منعت الإنسان من الرؤية الحقيقية، والعكس صحيح؛ فإذا كره الإنسان شيئا، أو تملّكه الحقد على شيء، فإن ذلك يكدر الروح ويمنع صفاءها؛ وبالتالي لا يمكن رؤية الأشياء على حقائقها، وكما هي. إن العاشق يرى حبيبة القبيح جميلا، لذلك قيل إن الحب أعمى.

قال الشاعر:

إذا أحببتك عيني ومالت إلى هواك فإنها لا ترى منك سوى حسن ليلى

من هنا، فإن السعي الحثيث من أجل البقاء في منطقة الحياد، وعدم الانحياز إلى العواطف والأحاسيس، ومن أجل القضاء والحكم بما نزل من الحق، يعتبر من أصول المعارف القرآنية:

«... زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا...»[١٢]

«قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»[١٣]

الهوامش:

١. سورة البقرة، الآية ٣١.
٢. سورة المائدة، الآية ١٠٥.
٣. سورة الأعراف، الآية ١٧٢.
٤. «شرح نهج البلاغة»، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٩٢.
٥. «العقايد الاسلامية» لمركز المصطفى، ج ١، ص ٢٥٩؛ «تفسير الميزان»، ج ٦، ص ١٩٩.
٦. سورة الحشر، الآية ١٩.
٧. «بحث في معرفة الله تعالى عن طريقة معرفة النفس»، مركز المصطفى، شرح رسالة الحقوق إمام زين العابدين، ص ٧١.
٨. هذا الشعر مكتوب باللغة الفارسية على مبنى الأمم المتحدة.
٩. «جملة من صفات النبي، وافعاله، وأحاديثه، وأدعيته»، مركز المصطفى، ج ١، ص ٢٧٨.
١٠. «بحار الأنوار»، العلامة المجلسي، ج ٢، صص ١٩٢ و ١٩٣، ح ٦ و٧.
١١. سورة الأحزاب، الآية ٤.
١٢. سورة فاطر، الآية ٨.
١٣. سورة الكهف، الآيتان ١٠٣-١٠٤.

ونحـــــن فداها

قصيدة للشاعر محمد **إقبال اللاهوري** في مدح السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

المجد يشرق من ثلاث مطالع
في مهد فاطمة فما اعلاها
هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي ام من؟
من ذا يداني في الفخار اباها
هي ومضة من نور عين المصطفى
هادي الشعوب اذا تروم هداها
هو رحمة للعالمين وكعبة الآ
مال في الدنيا وفي آخراها
من ايقظ الفطر النيام بروحه
وكأنه بعد البلى احياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة
مثل العرائس من جديد حلاها
ولزوج فاطمة بسورة(هل أتى)
تاج يفوق الشمس عند ضحاها
أسد بحصن الله يرمي المشكلات
بصقيل يمحو سطور دجاها
ايوانه كوخ وكنز ثرائه
سيف غدى بيمينه تياها
في روض فاطمة نما غصنان لم
ينجبهما في النيرات سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة
الوئام والاتحاد ابناها
حسن الذي صان الجماعة بعدما
أمسى تفرقها يحل عراها
ترك الخلافه ثم اصبح في الديار
امام الفتها وحسن علاها
وحسين في الابرار والاحرارما
أزكى شمائله وما أنداها
فتعلموا دين اليقين من الحسين

اذا الحوادث اظمات بلظاها
وتعلموا حرية الايمان من
صبر الحسين وقد اجاب نداها
الامهات يلدن للشمس ضياء
وللجواهر حسنها وصفاها
ما سيرة الابناء الا الامهات
فهم اذا بلغوا الرقي صداها
هي أسوة للامهات وقدوة
يترسم القمر المنير خطاها
لما شكا المحتاج خلف رحابها
رقت لتلك النفس في شكواها
جادت لتنقذه برهن خمارها
يا سحب اين نداك من جدواها
نور تهاب النار قدس جلاله
زمنى الكواكب ان تنال ضياها
جعلت من الصبر الجميل غذائها
ورأت رضا الزوج الكريم رضاها
فمها يرتل آى ربك بينما
يدها تدير على الشعير رحاها
بلت وسادتها لآلىء دمعها
من طول خشيتها وتقواها
جبريل نحو العرش يرفع دمعها
كالطل يروي في الجنان رباها
لولا وقوفي عند أمر المصطفى
وحدود شرعته ونحن فداها
لمضيت للتطواف حول ضريحها
وغمرت بالقبلات طيب ثراها

المصدر: موقع هيئة علماء بيروت
https://www.allikaa.net/

قولة اليهود: يد الله مغلولة!

السؤال:

قال تعالى: «**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...**» قال **الشيخ محمّد عبده:**

وقد جعل بعض أهل الجدل الآية من المشكلات؛ لأنّ يهود عصره ينكرون صدور هذا القول عنهم، ولأنّه يخالف عقائدهم ومقتضى دينهم، وممّا قالوه في حلّ الإشكال، إنّهم قالوا ذلك على سبيل الإلزام، فإنّهم لمّا سمعوا قوله تعالى: «**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ...**» قالوا: من احتاج إلى القرض كان فقيراً عاجزاً مغلول اليدين، بل قالوا ما هو أبعد من هذا في تعليل قولهم والحرْص في بيان مرادهم منه.

الجواب:

وما هو إلّا غفلة عن جرأة أمثالهم في كلّ عصر على مثل هذا القول البعيد عن الأدب بُعد صاحبه عن حقيقة الإيمان، ممّن ليس لهم من الدّين إلاّ العصبيّة الجنسيّة والتقاليد القشريّة، فلا إشكال في صدوره عن بعض المُجازفين من اليهود في عصر النبيّ ﷺ وقد كان أكثرهم فاسقين فاسدين.

وطالما سمعنا ممّن يعدّون من المسلمين في عصرنا مثله في الشكوى من الله عزّ وجلّ، والاعتراض عليه عند الضيق وفي إبّان المصائب.

وعبارة الآية لا تدلّ على أنّ هذا القول يقوله جميع اليهود في كلّ عصر حتّى يُجعل إنكار بعضهم له في بعض العصور وجهاً للإشكال في الآية، وإنّما عزاه إلى جنسهم – في حين أنّه قول بعضهم وهو (فنحاص) رأس يهود بني قينقاع وفي رواية: **النباش بن قيس أحد رجالهم**، وفي أخرى: **أنّه حُيَي بن أخطب** – لأنّه أثر ما فشا فيهم من الجرأة على الله وترك إنكار المنكر، والمُقرّ للمُنكر شريك الفاعل له.

على أنّ الناس في كلّ زمان يعزون إلى الأمّة ما يسمعونه من بعض أفرادها – ولا سيّما إذا كان من أكابر القوم – إذا كان مثله لا ينكر فيهم، والقرآن يُسند إلى المتأخّرين ما قاله وفعله سلفهم منذ قرون، بناء على قاعدة تكافل الأمّة وكونها كالشخص الواحد، ومثل هذا الأسلوب مألوف في كلام الناس أيضاً.[1]

مقصوده من بعض أهل الجدل هو الإمام الرازي في تفسير الكبير،[٢] لكن ليس يهود عصره هم الذين أنكروا صدور مثل هذا القول عن سلفهم، بل حتّى في زماننا هذا اعترضت الجالية اليهوديّة القاطنة في إيران وقدّمت اعتراضها إلى المجمع الإسلامي مستعلمة منشأ انتساب هذا القول إليهم.

كما أنّ ظاهر القرآن أنّ هذا هو عقيدة أسلافهم باعتبارهم أمّة، لا بالنظر إلى آحاد عاصروا عهد الرسالة قالوها عن جهالة أو مجازفة عابرة، الأمر الذي لا يستدعي نزول قرآن بشأنه!

فلابدّ هناك من منشأ يمسّ عقيدتهم بالذات عقيدة إسرائيليّة عتيدة استدعت هذا الذمّ الشامل.

وأكثر المفسّرين على أنّ هذا القول صَدر عنهم على سبيل الإلزام (أي على طريقة الاستلزام) وهي طريقة جدليّة يحاول فيها تبكيت الخصم بالأخذ عليه بما يستلزمه مذهبه، أي لازم رأيه بالذات وإن لم يكن من عقيدة صاحب الحجّة، قالوا: لمّا كثر الحثّ والترغيب على إقراض الله بالإنفاق في سبيله وبذل الصدقات – وجاء ذلك في كثيرٍ من الآيات – فعند ذلك جَعلت اليهود تستهزئ بعقيدة المسلمين في ربّهم؛ حيث فرضوه فقيرا محتاجاً إلى الاستقراض، وقالوا تهكّما وسخرا: «... **قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...**»،[٣] فمن كان فقيرا كان عاجزا مكتوف اليدين.[٤]

ويرى العلاّمة **الطباطبائي** أنّ هذا الوجه أقرب إلى النظر.[٥]

لكن في التفسير الوارد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّ قولتهم هذه تعني عقيدتهم بأنّ الله قد فرغ من الأمر فلا يحدث شيئاً بعد الّذي قدّره الله في الأزل، (جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة)[٦] فلا تغيير بعد ذلك التقدير، تلك كانت عقيدة اليهود السائدة، وتسرّبت ضمن الإسرائيليّات إلى أحاديث العامّة، فردّ الله عليهم بأنّ يديه مبسوطتان يتصرّف حيث يريد، «**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**»،[٧] «... **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**»،[٨] «... **فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**»،[٩] «... **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**».[١٠]

روى الشيخ بإسناده إلى **هشام بن سالم** عن الإمام جعفر بن مُحمّد الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ...**»[١١] قال: «**كانوا يقولون: قد فَغ من الأمر.**»[١٢]

وقال الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام **لسليمان بن حفص المروزي**، متكلّم خراسان – وقد استعظم مسألة البداء في التكوين:

«**أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب!**» **قال: أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟ قال: «قالت اليهود: «... يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ...» يعنون أنّ الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً.**»[١٣]

وروى **الصدوق** بإسناده إلى **إسحاق بن عمّار** عمّن سمعه عن الصادق عليه السلام أنّه قال في الآية الشريفة:

«**لم يعنوا أنّه هكذا (أي مكتوف اليد) ولكنّهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جلّ جلاله تكذيباً لقولهم: «... غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...»، ألم تسمع الله عزّ وجلّ يقول: «يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**»[١٤]

قال **عليّ بن إبراهيم** في تفسير الآية:

قالوا قد فرغ من الأمر لا يحدث الله غير ما قدّره في التقدير الأوّل، بل يداه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء، أي يقدّم ويؤخّر ويزيد وينقص وله البداء والمشيئة.[١٥]

وهكذا روى **العيّاشي** في تفسيره عن **حمّاد** عن الصادق عليه السلام.[١٦] ورواياتنا بهذا المعنى متضافرة.

وقد تعرّض **الراغب الأصفهاني** لذلك أيضاً قال:

قيل إنّهم لمّا سمعوا أنّ الله قد قضى كلّ شيء قالوا: إذن يد الله مغلولة أي في حكم المقيّد لكونها فارغة.[١٧]

ويبدو من كثير من الآيات القرآنيّة التي واجهت اليهود بالذات دفعاً لمزعومتهم أنْ لا تبديل بعد تقرير، أنّ هناك عقيدة كانت تسود اليهود في عدم إمكان التغيير عمّا كان عليه الأزل، الأمر الذي يشير بجانب من قضية الجبر في الخَلق والتدبير ممّا كانت عليه الأُمَم الجاهلة، ومنهم بنو إسرائيل، فهناك في حادث تحول القبلة اعترضت اليهود على هذا التحويل، فنزلت الآية «**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**»[١٨]

قال **ابن عبّاس:**

إنّ اليهود استنكروا تحويل القبلة عن «بيت المقدس» إلى «الكعبة». واختاره الجبّائي أيضا.[١٩]

وبهذا الشأن أيضاً نزلت الآية «**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**»[٢٠]

قال العلاّمة الطباطبائي:

النسخ في الآية يعمّ التبديل في التشريع وفي التكوين معاً وذلك ؛ نظراً لعموم التعليل في ذيل الآية، حيث عُلّل إمكان النسخ – وهو مطلق إزالة الشيء عمّا كان عليه وتبديله إلى غيره – بعموم القُدرة أوّلاً، وبشمول مُلكه للكائنات السماويّة والأرضيّة جميعاً.

... وذلك أنّ الإنكار المُتوهّم في المقام أو الإنكار الواقع من اليهود – على ما نُقل في شأن نزول الآية بالنسبة إلى معنى النسخ – يتعلّق من وجهين:

الأوّل: أن الكائن – سواء في التشريع أم في التكوين – إذا كان ذا مصلحة، فزواله يوجب فوات المصلحة التي كان يحتويها.

الثاني: أنّ الإيجاد إذا تحقّق أصبح الموجود ضرورة لا يتغيّر عمّا وقع عليه، فهو قبل الوجود كان أمراً اختيارياً ولكنّه بعد الوجود خرج عن الاختيار وأصبح ضرورةً غير اختياريّة.

ومرجع ذلك إلى نفي إطلاق قدرته تعالى، فلا تعمّ الكائن الحادث بعد حدوثه، وإنّما القدرة خاصّة بحال الحدوث ولا تشمل حالة البقاء، وهو كما قالت اليهود: «... يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ...»

وقد ألمح سبحانه وتعالى إلى الردّ على الوجه الأوّل بقوله: «... أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»،[٢١] فلا موضع لتوهّم فوات المصلحة القديمة بعد إمكان التعويض عنها بمصلحةٍ مِثلها أو خيرٍ منها، وعن الوجه الثاني بقوله: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...»[٢٢] أي له التصرّف في مُلكه حيثما يشاء، وهو دالّ على عموم القُدرة، في بدء الحدوث وعبر البقاء جميعا.[٢٣]

وعليه أيضاً نزلت الآية: «**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**» أي يمكنه تعالى أن يزيل شيئاً عمّا قدّر فيه ويبدّله إلى غيره، حسب عِلمه تعالى في الأزل بالمصالح والمفاسد المقتضية في أوقاتها وظروفها الخاصّة، فهو تعالى كلّ يوم في شأن.[٢٤]

ومِثلها قوله تعالى: «**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»،[٢٥] وذلك أنّهم لفرط جهلهم أنكروا إمكان التبديل في الخلق والتدبير – سواء في التشريع والتكوين – حسبوا من التغييرات الحاصلة في طول التشريع أنّها افتراء على الله، الأمر الذي يدلّ على غباوتهم وجهلهم بمقام حكمته تعالى الماضية في الخَلق والتدبير على طول خطّ الوجود.

وهذا المعنى هو المستفاد من عقيدتهم بأنّه تعالى بعد ما فرغ من خَلق السماوات والأرض خلال الستة الأيّام استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، جاء في سفر التكوين:

فأكملتُ السماوات والأرض وكلّ جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل.[٢٦]

❊❊❊

وقد يقال إنّ هذا المعنى لا ينسجم مع ذيل الآية «... **يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...**» حيث يستدعي هذا التعبير أن يكون النظر في صدر الآية إلى أمر البخل والتقتير في الرزق.[٢٧]

غير أنّ ذكر الإنفاق كيف يشاء في ذيل الآية: جاء بياناً لأحد مصاديق بسط يده تعالى وشمول قدرته، وليس ناظراً إلى الانحصار فيه؛ ولعلّ ذكر ذلك كان بسبب ما واجه المسلمين في إبّان أمرهم من الضيق وعدم التوفّر في تهيئة التجهيز الكافي والحصول على الإمكانات اللازمة، فأخذتْ اليهود في الطعن عليهم بأنّ ذلك هو المقدّر لهم، وليس بوسعه تعالى أن يفسح لهم المجال أو يوسع عليهم في المعاش. وإلاّ فوجهة الآية عامّة كنظيراتها، والعبرة بعموم اللفظ دون خصوص المورد.

الهوامش:

١. «تفسير المنار»، ج ٦، ص ٤٥٣.
٢. امصدر السابق، ج ١٢، ص ٤٠.
٣. سورة آل عمران(٣)، الآية ١٨١.
٤. «مجمع البيان»، ج ٢، ص ٥٤٧.
٥. «تفسير الميزان»، ج ٦، ص ٣٢.
٦. «صحيح البخاري»، باب القدر، ج ٨، ص ١٥٢.
٧. سورة الرعد(١٣)، الآية ٣٩.
٨. سورة الرحمن (٥٥)، الآية ٢٩.
٩. سورة هود(١١)، الآية ١٠٧.
١٠. سورة فاطر(٣٥)، من بداية السورة إلى الآية ١.
١١. سورة المائدة(٥)، الآية ٦٤.
١٢. «بحار الأنوار»، ج ٤، صر١١٣، رقم ٣٥.
١٣. المصدر السابق، ص ٩٦، رقم ٢، وراجع: عيون أخبار الرضا، ج١، ص١٤٥، باب ١٣، رقم ١.
١٤. «كتاب التوحيد» للصدوق، ص ١٦٧، باب ٢٥، رقم ١.
١٥. «تفسير القمي»، ج ١، ص ١٧١.
١٦. «تفسير العيّاشي»، ج ١، ص ٣٣٠، رقم ١٤٧.
١٧. «المفردات»، ص ٣٦٣.
١٨. سورة البقرة(٢)، الآية ١١٥.
١٩. «مجمع البيان»، ج ١، ص ١٩١.
٢٠. سورة البقرة(٢)، الآيتان ١٠٦ و١٠٧.
٢١. المصدر السابق، الآية ١٠٦.
٢٢. المصدر السابق، الآية ١٠٧.
٢٣. «تفسير الميزان»، ج١، صص ٢٥٣ و٢٥٤.
٢٤. سورة الرحمن الآية ٢٩.
٢٥. سورة النحل(١٦)، الآية ١٠١.
٢٦. سفر التكوين، الإصحاح ٢/١.
٢٧. «تفسير الميزان»، ج ٦، ص ٣١.

المصدر: مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية.

البدر الأزهر في مناظرات ليالي بيشاور

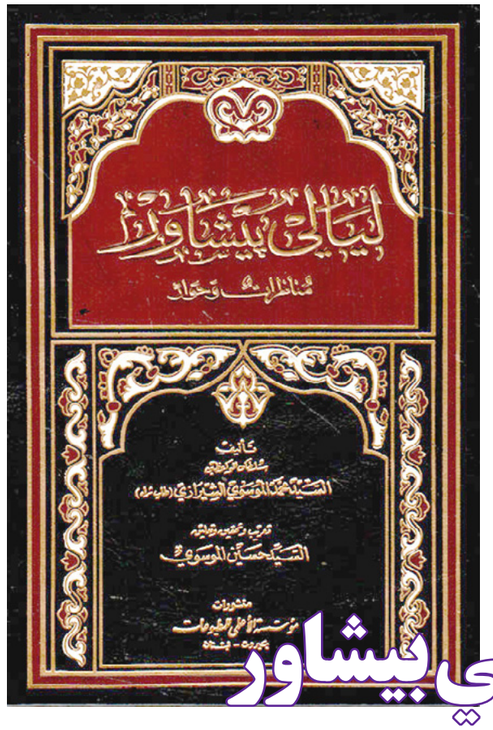

أشرف ما خلق الله تبارك وتعالى: العقل، فأودعه بني آدم تشريفا وتكريما، وألهمه أن يميز الحق من الباطل، والتقوى من الفجور، وأن يفهم الحقائق ويقبلها إذا تجرد عن الأهواء والملابسات والمغالطات.. فبهذه المزاحمات يشوش الإنسان على نفسه ويضبب على عينيه مشاهد الحقيقة؛ ليبرر ويسوغ ويتهرب من التكاليف والوقائع الواضحة! «**وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا.**»[1]

والجدل: هو الكلام على سبيل المنازعة والمشاجرة. وكانت الدعوة الإلهية صريحة في بيان الحقائق، ومع ذلك جاء الأمر القرآني إلى رسول الله ﷺ يقول: «**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.**»[2]

ذلك هو الاحتجاج: الهادئ، العلمي، الواضح.. بعيدا كل البعد عن: الصخب، والمغالطة، ولبْس الحقائق، والمراء، والمجادلة الباطلة في حلقات دوارة مفرغة، بل الذي يراد هو: الصدق، والنصح، وطلب الحقيقة، وهداية المشتبه، ورفع: الغبش والوهم والضلال والشك والشبهة والالتباس والتحامل الأعمى؛ «**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.**»[3] قيل: المراد بالهلاكة الضلال، وبالحياة الهدى، ثم قال تعالى: وإن الله لسميع عليم فهو جل وعلا يعلم ما في الصدور، وما آنطوت عليه الضمائر والقلوب، ويعلم الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، وطالب الحقيقة من المراوغ المغالط.

ومع ذلك كله، كتب الله جل شأنه على نفسه الرحمة، فتواضع لعباده، وتنزل إلى حد الاحتجاج معهم، فأنزل آياته على مد الأزمان والعصور إلى أنبيائه ورسله يحاجج بها أصحاب الضلالة والعناد والمغالطة، متما بذلك عليهم أعظم الحجج البالغة؛ حيث لا عذر لمن أراد الاعتذار. وقد جمع الشيخ المجلسي طيب الله ثراه جزءين من كتابه «بحار الأنوار» في احتجاجات الله عزوجل على أرباب الملل المختلفة، ثم أردف ذلك . في الجزء التاسع والعاشر . باحتجاجات النبي ﷺ على المشركين والكافرين، واحتجاجاته على اليهود المغالطين والمعاندين، ثم جاء باحتجاجات الأئمة الهداة المعصومين عليهم السلام على المضلين والضالين والمخالفين ومناظراتهم، وأجوبتهم وحوارتهم..، خاتما ذلك باحتجاجات العلماء ومناظراتهم، موردا ذلك عن جملة وافرة من مصادر الروايات والأخبار الوثيقة المهمة، ومنها: كتاب الاحتجاج، للشيخ **أبي منصور أحمد بن علي الطبرسي** (من علماء القرن السادس الهجري).

وقد توافدت كتب الاحتجاج والمناظرة، بلوغا إلى الحقائق المهمة التي يترتب على الإيمان بها مواقف حساسة وخطيرة وحياتية، وكذا نتائج أخروية، منها: ترك الضلال، ومجانبة العداء للحق وأهله، وتوجيه القلوب نحو منابع النور، ووضع الأقدام على طريق الهداية ومرضاة الله تبارك وتعالى.. فكان كتاب «المراجعات» **للسيد شرف الدين الموسوي**، وكذا: مسائل فقهية، وأجوبة مسائل جار الله، والنص والاجتهاد.. كذلك كان كتاب «الغدير» للشيخ **عبدالحسين الأميني**، وكتب عديدة التزمت المنطق العلمي، والبرهان الواضح والدليل البين، والحجة القاطعة، مقرونا ذلك بالأسلوب الهادئ والأخلاق المتسامية؛ للوصول إلى الهدف المقدس، ذلك هو مرضاة الله جل وعلا من خلال دحض الأباطيل وبيان الحقائق وتوضيح معالم الدين وتمهيد السبيل إلى نوال الهداية؛ لعل ضالا يهتدي، ومعاندا يؤوب، ومغالطا يرتدع، وظمآن إلى المعرفة يرتوي.

وكان ما أثمر على هذا الدرب: كتاب ليالي بيشاور الذي كتب . على أثر مناظرات علمية مفصلة . باللغة الفارسية، ثم ترجم إلى اللغة العربية، فجاء في مقدمة المترجم:

جدير بأن نسمي عصرنا بعصر الحوار والتفاهم والتعارف والتقارب.. ولا يتحقق التقارب إلا بالتفاهم والحوار الإيجابي البناء، ومناظرة العلماء.. بعيدين عن التعصب والعناد.. إذ يلزم المسلم والإنسان العاقل أن يكون بصيرا في دينه، لا يقبل قولا إلا عن دليل وبرهان، حتى يصبح على يقين.. وقد ترجمت هذا الكتاب القيم من اللغة الفارسية إلى العربية بأسلوب سهل يفهمه كل عالم وعامي، راجيا أن ينقذ الغافلين والجاهلين من العناد والتعامي، وأن يترك فيهم أثرا إيجابيا.

أما قصة الكتاب

فإن السيد المؤلف الموسوي الشيرازي كان قد سافر إلى شبه القارة الهندية «البنجاب وبيشاور» سنة ١٣٤٥هـ.ق. وعمره يومذاك ثلاثون سنة. وقد استقبل استقبالا حافلا في عدد من المدن التي وصل إليها وأقام فيها أياما قلائل، وكان علماء الأديان والمذاهب يزورونه فيدور بينهم وبينه مناقشات وحوارات، كان منها حوار مهم بينه وبين البراهمة، وهم علماء الهندوس في مدينة دهلي، وبحضور قائد الهند غاندي محرر شعبه من الاستعمار البريطاني. وكانت الصحف الهندية تنشر الحوار بكل صدق وأمانة، وقد خرج السيد منه منتصرا باحتجاجاته المنطقية العلمية.

ثم واصل سفره إلى مدينة بيشاور بدعوة من زعماء قبيلة قزل باش، وهي قبيلة كبيرة جدا من أصل إيراني، أفرادها يعتنقون مذهب التشيع ويجيدون الفارسية وقد طلبوا من السيد الموسوي أن يصعد المنبر ويخطب فيهم، فلبى طلبهم، يقول: لما وجدت أكثر سكان بيشاور من أهل السنة، جعلت موضوع الحديث «عقائد الشيعة وسائر المذاهب»، وكنت أقارن بينها، ولذا حضر كثير من علماء السنة وشخصياتهم محاضراتي واستمعوا لحديثي بكل شوق واهتمام، حتى طلبوا مني وقتا خاصا للإجابة عن مسائلهم واستفساراتهم ورد شبهاتهم حول الشيعة، فرحبت بهم، فكانوا يأتون إلى منزلي ويدور الحديث بيننا حول المسائل الخلافية.

ثم أخبروني أن عالمين كبيرين من مشايخ المنطقة، هما: الحافظ محمد رشيد، والشيخ عبدالسلام، قدما من كابل ليشتركا في الحوار الدائر بيننا، فما رأيك؟ فأبديت سروري وشوقي لحضورهما، وبهذا أخذ مجلسنا وحوارنا طابعا رسميا. واستمر المجلس بحضور الشيخين مع الجماعة عشر ليال متتالية، وربما طال حوارنا في بعض الليالي حتى الفجر، وذلك بحضور جمع كثير من شخصيات الفريقين.

وفي نهاية المناظرات في الليلة العاشرة، أعلن ستة من الحاضرين من أعيان الجماعة تشيعهم، وكان يلازم المجلس ما يقرب من مئتي كاتب يسجلون حديث الطرفين بأقلام أمينة، لا سيما أربعة من الصحفيين كانوا ينشرون الحوار بتمامه في الصحف الصادرة في المنطقة.

نعم، ثم جمع السيد محمد الموسوي الشيرازي . طاب ثراه . تلك الصحف ونقحها، ودونها في كتاب أسماه «شَبْهاي بيشاور= ليالي بيشاور»، دعا في ختام مقدمته أن يفيد المسلمين، ويهدي بكلامه الغافلين.

الهوامش:

١. سورة الكهف، الآية ٥٤.
٢. سورة النحل، الآية ١٢٥.
٣. سورة الأنفال، الآية ٤٢.

المصدر: شبكة الامام الرضا عليه السلام: http://www.imamreza.net

الحديث عن النهاية

إن السؤال عن المصير ونهاية رحلة الإنسان الطويلة في الأرض وعلى امتداد التاريخ، يحظى بسابقة وخلفية وهو جزء من طبيعة الإنسان، ومثلما أن الإنسان يسأل عن البداية فإنه يسأل أيضا عن النهاية والوجهة.

ولقد كانت الأساطير والأديان مضطرة كل منها بشكل ما للرد على هذا السؤال. وهذا السؤال موجه في بعدين، الأول يهتم بالنهاية والمصير وحكمة مجئ الإنسان إلى هذا العالم ورحيله عنه، وهو سر مكتوم ومختوم ولم يتم البوح عنه وكما يقول حكيم طوس الفردوسي فإن التوصل إلى الرد على هذا السؤال يتطلب العبور من نشوة الدنيا لبلوغ نشوة الآخرة.

وهذا السؤال نابع من ذات الإنسان وروحه غير المستقرة التي تبحث دائما عن سر الكون والخليقة. وهذا التساؤل والبحث والتمني يميز الإنسان عن سائر الكائنات ومن هذا المنطلق يعتبرون الإنسان كائنا باحثا وكاشفا عن الأسرار.

إن المجاهدة العالمة لكبار أهل المعرفة، تمر دوما عبر طريق الوصول إلى السر الكبير للكون، والتساؤل عن الوجود وحقيقة الخليقة.

أما البعد الثاني لهذا السؤال فيكمن في مصير ونهاية الحياة على الأرض والفصل الختامي للحياة وآخر مرحلة من العيش على الكرة الأرضية قبل الانتقال إلى العالم الآخر.

ذكرنا بأن الديانات السماوية من جهة والنحل والفرق غير الدينية من جهة أخرى دأبت على الرد على هذا السؤال والكشف عن هذا السر، بحيث أن كلا منها رسم لأتباعه صورة عن المستقبل وعدد خصائصه وميزاته.

إن أمهات المصادر الثقافية والدينية الشرقية لاسيما المصادر والنصوص الإسلامية تهتم بالرد ردا حقيقيا على سؤال الانسان. التساؤل عن حقيقة الكون وبالتالي مآل المجئ والرحيل. وطبعا فإن رد الدين وأهله على هذا السؤال عار وخال عن محورية الذات وعدمية الإنسان الغربي.

إن هذا السؤال يعود إلى انسان يتذكر الموت ولكي يبقى بمأمن عن الحياة المليئة بالاسترخاء وعدم الاطلاع، يرنو ببصره نحو القبر ويتذكر الموت ويسعى في ظل جهاد كبير للبحث عن طريق يمكنه من مواجهة الموت وكشف السر ونيل الفلاح.

وفي العصر الذي أصبح فيه الإنسان مصابا بمحورية الذات (التاريخ الغربي) ويعتبر نفسه فعال ما يشاء وفي غنى عن كلام السماء، فإنه لا أثر عن هذا السؤال. وفي المقابل، فإن الغفلة والتهرب من هذا السؤال تغطي الإنسان من رأسه إلى أخمص قدميه. وإن كل ما يحيط به يزيد من غفلته عن الموت. وكما يقول الأستاذ **أحمد فريد:**

إن الحياة الأشبه بالموت حيث ينسى فيها الإنسان القبر،[١] تفضي إلى عبادة اللذة والإرادة التي عينها على السلطة وتصاب بالنهاية بالمرض.[٢]

وفي هذا النمط من الحياة التي سادت مجمل التاريخ الغربي على مدى أربعمائة عام، فإن الإنسان يبحث فيها عن الرفاهية وأهلها ويغفل الموت ويسير بالكامل في الظاهر وعبادة الظاهر والانهماك بالمذهب الظاهر.

وهذه الجملة المذهلة للأستاذ فريد، تميط اللثام عن حقيقة أكثر ذهولا وهي:

وفي هذا الوضع والتاريخ، يريد المستضعف أن يحل محل الحياة المرفهة والمرضية للبورجوازية.[٣]

وكأن الجميع دخلوا في سباق للتقدم على أحدهم الآخر... .

أولم تكن حالة ووضع عموم القوميات غير الغربية على مدى مائتي عام الماضية شئ سوى هذا السباق المرضي لتجربة البورجوازية التي تجسدت في الحضارة والحداثة الغربية؟

وفي هذا النمط من الحياة القذرة، فإن جميع الهواجس الروحانية والحياة التقليدية للإنسان الشرقي وتشوقه للتحليق في الفضاء القدسي تحولت إلى هواجس وخلجانات نفسية وانصب كل همه على الدنيا والتصرف من دون فكر وروية للاستيلاء على الدنيا وتملكها.

والمؤسف أن الشرق والإنسان الشرقي وثقافته أصبحوا مهمشين في ظل حضور وسيطرة التاريخ الغربي. فالإنسان الشرقي أصبح لا يعرف حتى الشرق. فهو غافل عن حقيقة الشرق والتدين، يبحث عن الرفاهية والحداثة وحب الدنيا. إنه وتبعا للمثقفين والماسونيين وأولاد اسرائيل ممن تولوا خلال القرنين الأخيرين مهمة التعريف بالمصادر والنصوص الشرقية للشرقيين وإضفاء النظام على أوضاعهم الثقافية والسياسية والاجتماعية، أصبح يترجم الانطباعات والمعارف الشرقية والدينية بأدبيات غربية، ويحول كل شئ إلى الدنيوية ويعطي ترجمة دنيوية بحتة عن الدين وكلام أولياء الدين لكي يخوض براحة بال غمار الثقافة والحضارة الغربية.

ومن هنا وفي ظل غفلة تامة، تفرغت الكثير من المفاهيم الدينية من محتواها وحلت انطباعات نفسانية وشيطانية محل تلك الحقائق الأصيلة وارتضى الإنسان الشرقي في خاتمة المطاف بظاهر بلا باطن. فقد غطى الإنسان الشرقي نفسه بطبقة ظاهرة من التدين وطبقة ظاهرة من الثقافة والحضارة الغربية وأصبح معلقا بين الاثنين وبقي على هامش الحضارة الغربية في مكان ما بين الشرق والغرب.

إنه معلق بين العالمين، هو أبلغ تعبير يمكن تقديمه لتبيان وضع الشرق والإنسان الشرقي في وقت المواجهة مع الغرب وتاريخ الغرب وثقافته. وبناء على ذلك فإن الأزمة كانت من نصيب كل نهارات وليالي الشرق خلال الأعوام المائتين الأخيرة.

وفي هذا المقال، نوجه كلامنا نحو الغرب في نهاية تاريخ العدمية والنهلستية، وإلا فإن هناك الكثير من البحث والدراسة بشأن هذا الوضع المعلق أو ما نعتبره انبهارا بالغرب.

الهوامش:

١. «اللقاء الفذ وفتوحات اخر الزمان»، ص ٢٧٠.
٢. المصدر السابق، صص ٢٧٠ و ٢٧١.
٣. المصدر السابق، ص ٢٧٢.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «الغرب وآخرالزمان»، طهران، موعود العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف»، الطّبعة الأولى، ١٤٣٤هـ .ق./ ٢٠١٣م.

سلالة روتشيلد اليهودية (عصابة الخمسة)

وهي من أهم السلالات المؤسسة لجماعة النورانيين عبدة الشيطان وأخطرها وان كانت تلك العائلة لم تكن من أقدم تلك السلالات لكنها تتحكم بشكل مباشر اقتصاديا وماليا في العالم.

وقد صدرت المؤلفات الكثيرة عن تلك العائلة اليهودية التي كانت من وراء إنشاء دولة إسرائيل والصهيونية العالمية ومن أهم تلك الكتب كتاب المؤرخ البريطاني **نيال فيرجسون**.

وخطورة تلك العائلة أنها كانت وما زالت الذراع الطولي للنورانيين في إحكام قبضتهم على العالم وإثارة الحروب والمؤامرات والانقلابات في كل دول العالم في أوربا وكل القارات حتى الآن.

عرفت هذه العائلة بـ **سلالة فرانكفورت وعصابة الخمسة** حيث النشأة والظهور الأول في «فرانكفورت» بـ«المانيا» حيث أنجب اليهودي تاجر العملات اليهودي **إسحاق أكانان** ابنه **أمشل موسي باور** الذي أنجب **مائير** مؤسس العائلة الروتشيلدية وزعيم عصابة الخمسة أو الأفعى اليهودية التي سيطرت على العالم القديم والحديث.

وأما سبب تسمية الأسرة بعائلة روتشيلد فيرجع إلى أن أمشل موسي باوا الصائغ حين استقر بفرانكفورت عام ١٧٥٠م. وافتتح دكانا للصرافة التي هي مهنة عائلته ووضع درعا أحمر فوق محله فعرف باسم روتشيلد، وهي الترجمة للدرع الأحمر بالألمانية.

وعرف أمشل موسي بروتشيلد، وقد أنجب أمشل ابنه مائير الذي بعد مؤسس تلك العائلة التي عرفت فيما بعد بال روتشيلد ومؤسس ثروتها التي حكم بها العالم من وراء الستار، وأطلق أبناءه الخمسة في دول أوربا الكبرى للسيطرة عليها من خلال المال والمؤامرات.

عاش مائير روتشيلد في الفترة ما بين عام ١٧٤٣ حتى ١٨١٢م.

وقد تزوج من **غوتل (جوتل) شنابير** التي أنجبت له أبناءه الخمسة الذين سيطروا على أوربا فيما بعد.

فقد أنجب مائير خمسة أولاد ذكور وخمسا من الإناث وقد توفي عن عمر يقارب السبعين عاما إلا قليلا وترك لأبنائه ثروة كبيرة ضخمة وعهد إليهم أن يملكوا الأرض بوصفهم يهودا وأن يكون يدا واحدة.

وقد أطلق المؤرخون والسياسيون على مؤسس هذه الأسرة أمشل مائير روتشيلد الأول تميزة له عن ابنه **ناثان** الذي حمل لواء الأسرة بعد أبيه وحقق الكثير من أهداف النورانيين.

كيف كوّن روتشيلد الأول تلك الثروة التي تركها الأولاده وعائلته

فقد ذكر المؤرخون السيرة تلك الأسرة أن أمشل مائير عمل في «مصرف أوبنهيم» (Oppenheim) بعد أن درس في مدرسة يهودية تعاليم «التلمود» وخلال عمله في البنك تعرف على **فون استورف** المقرب للأمير **فريدريك الثاني** (١٧٦٠-١٧٨٥م.) والذي عهد إليه بإدارة أمواله وثروته التي تقدر بحوالي ٧٠-١٠٠ مليون فلورينا عملة هذا الزمان.

وتزوج أمشيل روتشيلد الأول من غوتل شنابير التي أنجبت له عشرة من الأولاد خمسة من الذكور ومثلهم من الإناث، وكانت تعنى بأمر المحل الذي كان يملكه زوجها.

ومن خلال عمل أمشيل مع الأمير فردريك وتدويره لأمواله في الربا وكل أنواع التجارة المباحة وغير المباحة كون ثروة طائلة.

أما أولاد أمشيل أو روتشيلد الأول وهم السلالة التي استمرت منها تلك العائلة فهم

١. **شارلوت ماير** ولدت سنة ١٧٧٠م. وتزوجت من **بيندكت موسى ورمز** (Worms)؛

٢. **انسيلم** ولد سنة ١٧٧٣م. وتوفي سنة ١٨٦٥م. وتزوج من **ايفاهانو**، وقد اختير عضوا في المجلس الخاص البروسي المشرف على التجارة وقنصلا لـ«بافاريا» وعضوا في محكمة المصارف؛

٣. **سالومون** ولد سنة ١٧٧٤م.، وتزوج من **كارولين ستيرن**، وتوفي سنة ١٨٥٠م.، وكانت له علاقات متينة مع الأمير **ميترنيخ** ديكتاتور «النمسا»؛

٤. **ناثان** ولد سنة ١٧٧٧م. وتزوج من **جوهانا ليفى بارنت كوهين**، وتوفي سنة ١٨٣٩م.؛

٥. **أزابيلا** ولدت سنة ١٧٨١م. وتزوجت من **بيرنهارد جودا سيشل**؛ ٦. **بابيت** ولدت سنة ١٧٨٤م. وتزوجت من **ليوبولد بيفس**؛

٧. **كارل** ولد سنة ١٧٨٨م. وتزوج من **أديلايد هيرتز**، وتوفي سنة ١٨٥٠م.، وبعد ضم «نيبلس» إلى «إيطاليا» توقف مصرفه هناك سنة ١٨٦٠م.، وانتقل أبناؤه إلى فرانكفورت؛

٨. **جيمز (جاكوب)** ولد سنة ١٧٩٢م. وتزوج من بنت أخيه سالومون وتوفي سنة ١٨٩٨م.؛

٩. **جوليا** وقد تزوجت من **مئير ليفي بيفس**؛

١٠. **هنريت** وقد تزوجت من **إبراهام مونتفيور**.

واما زوجة امشيل غوتل (غودولا) فقد عاشت بعد زوجها عدة سنين في المنزل القديم في «يودنغاسة» حتى إلى عمر ١٦ عاما.

ولما حضرت امشبل الوفاة دعا جميع أبنائه إلى فرانكفورت، وبعدها قرأ التلمود وقال لهم:

تذكروا يا أبنائي أن الأرض جميعها ينبغي أن تكون ملكا لنا نحن اليهود، وأن غير اليهود حشرات يجب أن لا يملكوا شيئا.

وشرح لهم فكرته وجعلهم يقسمون أمامه على ألا ينفرد أحدهم بعمل دون الآخرين وعلى أن يعملوا مترابطين مجتمعين.

وقد أعادوا القسم ذاته عند قبره بعد أربعة وعشرين عاما لما وافق ناثان لأسباب مادية على اعتناق المسيحية، وتوفى فجأة!

توفي أمشيل سنة ١٨١٢م.، وقد قسم العالم بين أبنائه الخمسة انسيلم وسالمون وناثان وكارل وجيمز على التوالي: ألمانيا والنمسا و«بريطانيا» وإيطاليا و«فرنسا». وفيما بعد أعطى أحد أحفاده **شونبرغ** (Schoeneberg) «الولايات المتحدة» واتخذ **بيلمونت** (Belmont) اسما له.

ولم يستعمل الروتشيلديون نفس الاسم في الولايات المتحدة لأن الجنود الهسيين الذين أثاروا حفيظة الأميركيين كانوا من القطيع الذي اشتراه أمشيل وجهزه وباعه.

ولم يكن أمشيل يكره شيئا في الدنيا كراهته لكلمة «روما» لأن زعيم المسيحيين (البابا) يعيش فيها، ولأنها أكبر عدو للبلشفية، فالبابا في روما، وملك روما **نابليون الثاني** و**رومانوفا** (الرومانوفيون) أسماء تجعل أمشيل يشتعل غضبا، لذلك بعث بعملائه للقضاء عليهم جميعا، وكوّن إمبراطورية للربا وتجارة الذهب، استمرت أكثر من إمبراطوريات **شارلمان** و**نابليون الأول** والرومانوفيين.

لقد حبب أمشيل لزوجته غوتل شنابير ولأبنائه الخمسة وبناته الخمس شهوة القتل، وكيف يكسبون الأموال بنهب الناس وسلبهم، وبما أنه تعلم في المدرسة الحاخامية كل البرامج الشيطانية التي تعرف بـ«بروتوكولات حكماء صهيون»، فقد كان على علم مسبق بالهجوم على صفاء الجنس البشري واستبداله بصفاء الذهب، وكذلك فقد علم أمشيل أطفاله جميع الحيل الشيطانية القبلانية.

وبدأ الأبناء الخمسة أعمالهم التجارية في خمس عواصم أوربية مختلفة، لكنهم كانوا يعملون بتضامن تام.

ومنذ سنة ١٨١٢م. أي وفاة أبيهم كان عملهم ضخما، والعلاقات بينهم متينة إلى درجة جعلت منافستهم مستحيلة. ويعزى نجاح مؤسسى الأسرة إلى الفوضى التي سادت العالم حينذاك.

ثم جاء الجيل الثاني من الروتشيلديين، وحقق ما كان يحلم به روتشيلد الأب فقد تركز عمل ناثان في «لندن» وسالمون في «فيينا» وكارل في نيبلس وجيمز في باريس بينما أصبح أنسيلم الابن الأول خليفة والده في مصرف فرانكفورت.

وكان أنسيلم يهوديا تقليديا، أجبره والده على الزواج من اليهودية **إيفا حنان** التي لم يحبها ولم يرزق منها بنين. فخلفه أبناء كارل الذي كان مديرا لمصرفهم في نيبلس، وقد أغلق في سنة ١٨٦٠م. عندما أفلس البابا ولم يجدوا في إيطاليا ما ينهب.

ذهب سالومون الابن الثاني إلى فيينا التي كان يسيطر عليها في ذلك الوقت اليهود الخمسة: **أرنستين واسكيلس وغيمولر وستين وسينا**، فطرد سالومون الأربعة الأول منهم، وسمح لخامسهم أن يعيش في تواضع تحت شجرة الروتشيلديين.

أما كارل الابن الخامس فقد إنتقل إلى نيبلس، واتخذ منها مركزا يستطيع منه إزعاج البابا ونهب الممالك الإيطالية، وقد تزوج من اليهودية **أديلايد هيرتز** التي كان لها حظوة عند ملك نيبلس، وبذلك استطاعت أن تخدم زوجها في أعماله.

ولما توفي أنسيلم انتقال **شارل ووليم** ابنا كارل إلى فرانكفورت وتركا أخاهما الثالث **أدولف** في نيبلس حيث خلف والدهم سنة ١٨٥٥م.

لكن أدولف، صفى مصرفه في سنة ١٨٦٠م. وفضل العيش بهدوء، وحضر تتويج **القيصر الاسكندر الثاني** في «موسكو» سنة ١٨٥٦م.، وتزوج من عمومته ولم ينجب أولادا من زوجته، وقد كان ظلا لملك نيبلس الذي منحه لقب **ماركيز**.

أما سالومون في فيينا فقد أنجب طفلين **أنسيلم** و**بيتي** التي تزوجت من جيمز الذي أقام في باريس.

من القصص التي تداولها المؤرخون أن ناثان روتشيلد الكبير، مؤسس فرع العائلة في بريطانيا قام بتمويل عملية الغزو التي شنها **اللورد ولنجتون** في فرنسا في آخر مراحل حرب بريطانيا مع **نابليون بونابرت**، وكان ناثان وقتها حديث العهد ببريطانيا وسياستها وكان للتو قادما من حي اليهود في فرانكفورت حيث لقنه أبوه فنون المال وعلومه وبعث به إلى بريطانيا حيث صناعة المنسوجات في المهد ومستقبلها في التجارة العالمية مؤكد ومضمون حسب رؤية روتشيلد الأب.

كانت مهمة ناثان في هذه الحرب تهريب العملات الذهبية عبر «المانش» إلى القوات البريطانية، وهو ما فعله حتى تحقق النصر **لونجتون** في «معركة ووترلو».

هذا الجانب من مهمة آل روتشيلد معروف، ما لم يكن معروفة هو أن الفرع الفرنسي من آل روتشيلد كان يقوم بتمويل جيوش نابليون خلال عمليات زحفها في أوروبا وخارجها، كذلك مولت العائلة حرب بروسيا والنمسا حين قدمت قروضة كبيرة لحكومتي الإمبراطوريتين عندما بدأتا استعدادهما للحرب.

وفي العصر الحديث قامت العائلة بكل نفوذها لتشجيع السيدة **مارجريت تاتشر** على خصخصة صناعات وخدمات بعينها مولت عملياتها مصارف روتشيلد.

وحين أممت حكومة ميتران في فرنسا بعض مصارف روتشيلد أقامت العائلة على الفور مصارف أخرى أكبر وأقوى.

أبدع كل من ناثان البريطاني وجيمس الفرنسي كل في مجاله، فكان لكل منهما نفوذ لا يعادله نفوذ في صنع السياسة في كل من بريطانيا وفرنسا ومستعمراتهما في الخارج كذلك كان نفوذ فرع العائلة في ألمانيا بالغا حتى أن أحد الكتاب الألمان المعاصرين كتب مؤخرا عن ماير مؤسس العائلة واصفا إياه بأنه فخر إسرائيل، إنه الرجل الذي انحنى بتواضع أمام صناديق أمواله أعظم ملوك أوروبا وأباطرتها.

وكتب الراوئي المعروف **تاكيري** عن ناثان أسطورة روتشيلد البريطانية أنه لم يكن فقط ملك اليهود Thackerty ولكن يهودي الملوك.

ويقال عن ناثان إنه ضاعف ثروة روتشيلد عشرين مرة حين راهن على انتصار بريطانيا في حربها ضد فرنسا، وإنه مع أخوته أقام شبكة من العملاء غطت كل القارة الأوروبية ومستعمراتها اعتمدت في نقل رسائلها على قوارب سريعة واستخدمت شفرة خاصة والحمام الزاجل.

كان الهدف من إقامة هذه الشبكة بث الإشاعات التي تخدم خططها الموضوعة سلفا.

ويذكر في هذا الصدد أن ناثان روج شائعة هزيمة اللورد ولنجتون رغم المعلومات المتوفرة لديه عن أن انتصاره شبه المؤكد، كان الغرض حث حكومة الإمبراطورية على مزيد من الاقتراض من روتشيلد ورفع سعر الفائدة أو الحصول على نصيب في أرصدة الإمبراطورية في الخارج.

استخدمت عائلة روتشيلد الشائعات، وربما ما زالت تستخدمها، لنشر الفزع والرعب بين الناس وأصحاب الأراضي والمصانع والمزارع لتخفيض قيمة هذه الأصول في السوق فتشتريها مصارف روتشيلد.

إنه الفزع نفسه والصدمات نفسها التي عادت لتكتب عنها الكاتبة البريطانية الشهيرة **نعومي كلاين** وهي تصف أسلوب مدرسة «شيكاغو» التي أسسها عالم الاقتصاد **ميلتون فريدمان**.

كانت نعومي تصف سياسة عامة انتهجتها مدرسة اقتصادية تحكمت في الاقتصاد الأمريكي، واقتصادات أمريكا اللاتينية ثم أغلب دول العالم، وانتهت أو لعلها تقترب من نهايتها على أيدي الأزمة المالية الخانقة والانهيارات الاقتصادية، كان ناثان روتشيلد يقول:

لا تهمني الدمية التي يضعونها على عرش إنجلترا لتحكم الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس إن الشخص الذي يتحكم في الثروة البريطانية هو وحده الذي يحق له أن يتحكم في الإمبراطورية وأنا هو هذا الشخص.

ونقل جريدة «الإندبندنت» في عدد من أعدادها حكاية رويت عنه تقول:

إن أميرا من أفراد أوروبا دخل على ناثان روتشيلد في مكتبه ومشي متجها نحو مكتبه إلا أن ناثان لم يرفع رأسه عن أوراق يقرأ فيها واكتفى بأن طلب من الزائر أن يسحب مقعدا ويجلس.

رد عليه الأمير غاضبا أنا أمير ولايتي «ثورن» و«تاكسيس» فكيف تطلب مني أن أسحب مقعدة؟ أجابه ناثان إذا: اسحب مقعدين واجلس!

ويكتب فيرجسون وغيره من المؤرخين عن القواعد التي وضعها مؤسس العائلة منذ عام ١٧٤٤م.، وهي القواعد التي حافظت على تماسك العائلة وتعاظم الثروة قرنين ونصف قرن، وبعضها حقا مثير للانتباه، منها مثلا ألا يسمح أي من أفراد العائلة المسؤولين عن إدارة الشركات والمصارف لأي جهة حكومية أو غير حكومية بإجراء مسح أو عمل جرد لأصول العائلة وثروتها المنقولة

ولذلك لا أحد إلى يومنا هذا يستطيع وضع تقرير مؤكد لثروة آل روتشيلد بدليل أن التقديرات وهي عديدة تتراوح بين عشرين مليارا وتريليون دولار.

ومن القواعد أيضا أن الابن الأكبر يرث منفردا إلا إذا اجتمعت العائلة وقررت تعيين خليفة غير الابن الأكبر الأسباب يقدرونها بإجماع الآراء، ومنها ولعلها من القواعد الأشد لفتا للانتباه، أن الخلافة تكون للأبناء الذكور فقط، وأن يتزوج هؤلاء من بنات العموم من الدرجة الأولى أو الثانية.

ومن يتزوج من خارج العائلة يحرم من الميراث، وفي أحسن الأحوال تمنحه العائلة مبلغا شاملا كما تفعل مع إناث آل روتشيلد اللائي لا يرثن ولا يحق لهن العمل في وظائف بمصارف آل روتشيلد وشركاتها ولا حقوق لأولادهن وبناتهن لدى العائلة.

لقد كان ماير روتشيلد مؤسس العائلة، واعيا للطبيعة البشرية ودارسا متعمقا في ديانته والسلوكيات المتوارثة عن الأقدمين ولذلك وضع هذه القواعد، إذ بدونها ما استمرت العائلة أكثر من قرنين وما كان لكبيرها في الأزمنة المختلفة وفي ظل أنواع شتى من الحكم أن يتمتع بهذا النفوذ العالمي الهائل الذي تمتع به بارونات الأسرة وما زال يحظى به البارون **دافيد دي روتشيلد** كبير الفرع الفرنسي الذي حل محل البارون **ايفيلين دي روتشيلد** الذي عزل حين قرر عقد قرانه على سيدة أمريكية من خارج العائلة وتردد أنها ليست يهودية.

فقد أراد ماير روتشيلد الحفاظ على السلالة التي يرى كغيره من اليهود الصهاينة أنها سلالة مقدسة!

بالفعل تستحق سيرة آل روتشيلد اهتماما خاصا في هذه الأيام إنها عائلة أجادت لمدة ٢٧٠ عاما أو أكثر مهنة التجارة في المال وأبدعت في فنون ممارسة النفوذ وإشعال الحروب وبث الإشاعات وإقامة شبكات جاسوسية وجمع معلومات، أي أجادت ومارست أعمالا شديدة الخطورة ومع ذلك تمكنت من البقاء هذه المدة الطويلة بينهما انهارت وتنهار دول وانفرطت وتنفرط أمم لأسباب أقل شأنا.

إن دراسة التاريخ تعلو بالأمم والجهل به يجعلنا في مصاف العميان والبيادق في اللعبة.

لقد استطاعت عائلة روتشيلد ومن ورائهم النورانيون من خلق دولة من العدم هي دولة إسرائيل بعد أن أصبحت هذه العائلة سلالة إمبراطورية فاقت الإمبراطورية الكبرى القديمة بأنها استمرت لكونها أكثر منها، وأكبر إنجازات هذه الأسرة هي وعد بلفور وإنشاء دولة صهيونية على أرض «فلسطين».

في نوفمبر ١٩١٧م.، أرسل وزير خارجية بريطانيا بلفور الخطاب التالي:

عزيزي اللورد/ روتشيلد، يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي، الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته كما يلي: إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى،

هذا هو الخطاب المعروف باسم وعد بلفور.

أما في جانب تبادل الخبرات، فقد كانت مؤسسات روتشيلد على عادة المؤسسات اليهودية تعمل بصورة أساسية في مجال التجارة والسمسرة، ولكن تجربة بناء سكة حديد في إنجلترا أثبتت فاعليتها وفائدتها الكبيرة لنقل التجارة من ناحية، وكمشروع استثماري في ذاته من جانب آخر، وبالتالي بدأت الفروع الأوروبية في إنشاء شركات لبناء سكك حديدية في كافة أنحاء أوربا، ثم بنائها على طرق التجارة العالمية؛ لذا كان حثهم لحكام «مصر» قديما على قبول قرض لبناء سكك حديدية من «الإسكندرية» إلى «السويس».

ومن ثم بدأت مؤسسات روتشيلد تعمل في مجال الاستثمارات الثابتة، مثل: السكك الحديدية، مصانع الأسلحة والسفن، مصانع الأدوية، ومن ثم كانت مشاركتها في تأسيس شركات مثل «شركة الهند الشرقية»، و«شركة الهند الغربية»، وهي التي كانت ترسم خطوط امتداد الاستعمار البريطاني، أو الفرنسي أو الهولندي أو غيره. وذلك على أساس أن مصانع الأسلحة هي التي تمد هذه الجيوش بالسلاح، ثم شركات الأدوية ترسل بالأدوية لجرحي الحرب، ثم خطوط السكك الحديدية هي التي تنشر العمران والحضارة، أو تعيد بناء ما هدمته الحرب.

وبالتالي تكون الحروب استثمارا (تجارة السلاح)، وديون الدول نتيجة للحرب استثماراً (قروضا)، وإعادة البناء والعمران استثمارا (السكك الحديدية والمشروعات الزراعية والصناعية)؛ ولذا دبرت ١٠٠ مليون جنيه للحروب النابليونية، ومن ثم مول الفرع الإنجليزي الحكومة الإنجليزية بمبلغ ١٦ مليون جنيه إسترليني لحرب القرم (هذا السيناريو تكرر في الحرب).

كما قدمت هذه المؤسسات تمويلا لرئيس الحكومة البريطاني (ديزرائيلي) الشراء أسهم قناة السويس من الحكومة المصرية عام ١٨٧٥م. وفي نفس الوقت كانت ترسل مندوبيها إلى البلاد الشرقية مثل مصر و«تونس» و«تركيا» لتشجيعها على الاقتراض للقيام بمشروعات تخدم بالدرجة الأولى استثماراتهم ومشروعاتهم وتجارتهم ولحماية استثماراتهم بشكل فعال، تقدموا للحياة السياسية في كافة البلاد التي لهم بها فروع رئيسية، وصاروا من أصحاب الألقاب الكبرى بها بارونات، لوردات... إلخ.

كما كان للأسرة شبكة علاقات قوية مع الملوك ورؤساء الحكومات؛ فكانوا على علاقة وطيدة مع البيت الملكي البريطاني، وكذلك مع رؤساء الحكومات، مثل **ديزرائيلي** و**الويد جورج**، وكذلك مع ملوك فرنسا، سواء لملوك البوربون، أو الملوك التاليين للثورة الفرنسية، وصار بعضهم أعضاء في مجلس النواب الفرنسي، وهكذا في سائر الدول.

لم يكن آل روتشيلد مقتنعين بمسألة الوطن القومي لليهود عند بدايتها على يد **هرتزل**، ولكن أمران حدثا غيرا من توجه آل روتشيلد.

اولا: هجرة مجموعات كبيرة من اليهود إلى بلاد الغرب الأوروبي، وهذه المجموعات رفضت الاندماج في مجتمعاتها الجديدة وبالتالي بدأت تتولد مجموعة من المشاكل تجاه اليهود، وبين اليهود أنفسهم فكان لا بد من حل لدفع هذه المجموعات بعيدا عن مناطق المصالح الاستثمارية لبيت روتشيلد.

ثانيا: ظهور التقرير النهائي لمؤتمرات الدول الاستعمارية الكبرى في عام ١٩٠٧م.، والمعروف باسم «تقرير بازمان»، وهو رئيس وزراء بريطانيا حينئذ الذي يقرر أن منطقة شمال إفريقيا وشرق «البحر المتوسط» في الوريث المحتمل للحضارة الحديثة: حضارة الرجل الأبيض، ولكن هذه المنطقة تتسم بالعداء للحضارة الغربية، ومن ثم يجب العمل على تقسيمها.

عدم نقل التكنولوجيا الحديثة إليها.

إثارة العداوة بين طوائفها.

زرع جسم غريب عنها يفصل بين شرق البحر المتوسط والشمال الإفريقي.

ومن هذا البند الأخير، ظهر فائدة ظهور دولة يهودية في فلسطين، وهو الأمر الذي استشعره دعاة الصهيونية.

وعلى ذلك تبني آل روتشيلد هذا الأمر؛ حيث وجدوا فيه حلا مثاليا المشاكل يهود أوربا المضطهدين في ذلك الوقت.

وكان **اليونيل روتشيلد**، (١٨٦٨-١٩٣٧م.) هو المسئول عن فروع إنجلترا، وزعيم الطائفة اليهودية في إنجلترا في هذا الوقت، وتقرب إليه كل من **حاييم وايزمان**، أول رئيس لإسرائيل فيما بعد و **ناحوم سوكولوف**، ونجحا في إقناعه في السعي لدى حكومة بريطانيا لمساعدة اليهود في بناء وطن قومي لهم في فلسطين وإمعانا في توريطه تم تنصيبه رئيسا شرفيا للاتحاد الصهيوني في بريطانيا و«أيرلندا».

ولم يتردد ليونيل، بل سعى بالإضافة لاستصدار التعهد البريطاني المعروف باسم «وعد بلفور» إلى إنشاء فيلق يهودي داخل الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، وتولى مسئولية الدعوة إلى هذا الفيلق، وجمع المتطوعين له **جيمس أرماند روتشيلد** (١٨٧٨-١٩٥٧م.)، كما تولى هذا الأخير رئاسة هيئة الاستيطان اليهودي في فلسطين، وتولى والده تمويل بناء المستوطنات والمشاريع المساعدة لاستقرار اليهود في فلسطين، ومن أهم المشروعات القائمة حتى اليوم مبني الكنيست الإسرائيلي في «القدس».

كان **إدموند روتشيلد**، زعيم الفرع الفرنسي (١٨٤٥-١٩٣٤م.) من أكبر الممولين للنشاط الاستيطاني اليهودي في فلسطين، ودعم الهجرة اليهودية إليها، وقام بتمويل سبل حمايتها سواء سياسيا أو عسكريا، وقد تولى حفيده ويسمى على اسمه **إدموند روتشيلد** (من مواليد ١٩٢٦م.) رئاسة «لجنة التضامن» مع إسرائيل في عام ١٩٦٧م.، وخلال فترة الخمسينيات والستينيات قدم استثمارات ضخمة في مجالات عديدة في إسرائيل.

وحتى نستكمل الصورة عن بيت روتشيلد يجب أن نعلم أنهم قدموا خدمات مالية كبيرة للدولة البابوية الكاثوليكية في إيطاليا (الفاتيكان)، ومهدوا بذلك السبيل للإعلان الذي صدر عن الكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان «ببراءة اليهود من دم المسيح»، وبالتالي وقف كل صور اللعن في صلوات الكنائس الكاثوليكية في العالم وهو من أهم أعمال آل روتشيلد والذي مهد للتحالف المسيحي الصهيوني في العصر الحديث وسهل الطريق أمامهم من أجل إعادة احتلال أراضي الدول الإسلامية والعربية بدءا بـ«أفغانستان» ثم «العراق».

المصدر: منصور عبدالحكيم، «سلالات وعائلات ومنظمات تحكم العالم»، دمشق، دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

المسلمون ومواجهة أخطار العولمة الأمريكية واليهودية

اتضح معنا أنّ العولمة تستند استناداً مباشراً إلى الحضارة الغربية المعاصرة التي توجهها المبادئ اللادينية الوضعية التي لا تؤمن بالله تعالى، ولا الإيمان بالنبوات، ومنها نبوة محمدﷺ ولا باليوم الآخر، ولا بالغيبيات الدينية الثابتة في الكتاب والسنة. ومن هنا تشيع الحياة المادية والإلحادية عبر شبكاتها وأجهزتها العالمية بأساليب ووسائل – تقوم على الإغراء والخداع – في غاية التأثير في النفس الإنسانية، إنّها تؤثر في مئات الملايين من المسلمين مباشرة أو بصورة غير مباشرة، فتؤدي إلى الإنكار والتشكيك، إنها تفقد الإنسان المسلم كيانه وشخصيته، تفقده عقله وقلبه وروحه، وتفرغه من أصول الإيمان والأخلاق الحميدة. إنّه ليست هنالك حضارة أو أمّة على وجه الأرض ستتأثر بالعولمة كما سيتأثر بها المسلمون والحضارة الإسلامية. ودراسة العولمة بكل بأبعادها دراسة واعية متفحصة تثبت ولا شك أن المسلمين جميعاً هم الهدف الأهم للعولمة الصهيونية الأمريكية الرأسمالية.

إنّنا ندعو إلى احتفاظ المسلمين بهويتهم الإسلامية وشخصيتهم المستقلة المتميزة حسب القرآن والسنة، والمحافظة على الفكر الإسلامي في منابعه الأصيلة، وإعادة تماسك الجماعة الإسلامية، مع الإفادة من خير ما أنجزته المدنية الغربية والعلم الغربي، مع عدم الأخذ من الثقافة نفسها إلا ما كان منها لا يتعارض مع هوية الأمة الإسلامية وشخصيتها وثقافتها الأصيلة.

ونرى أيضاً ضرورة مواجهة العولمة، وتحدّياتها بشجاعة وإيمان، ومعاملتها كمادة خام يستفاد منها للخير أو للشر، أي لابد من الفحص والتمحيص والنقد والاختيار، فالمسلم صاحب عقيدة، ورسالة عالمية، وثقافة أصيلة، ومنهج شامل في الحياة، وعليه أن يحمل رسالته الربانية للناس جميعاً، وعليه أن يجمع بين حسنات ما عنده وحسنات ما عند الآخرين، فالنافع والصالح يبحث عنه ويأخذ به، مع المحافظة على الأصول الإسلامية، مع ضرورة نقد قوي جريء للعولمة واتجاهاتها وثقافتها المادية، ومواجهتها وجهاً لوجه.

يقول وزير الأوقاف الأردني السابق الأستاذ **كامل الشريف:**

لكي يستطيع المسلم أن يحدد دوره إزاء العولمة – النظام العالمي الجديد – لا بد أن يعرف أولاً موقف الإسلام – كعقيدة – من هذه التبدّلات فمن المفروض أن الإنسان المسلم يبني مواقفه كلها على أساس الفهم الصحيح للإسلام والالتزام بتعاليمه ومبادئه، وأول آثار الالتزام أنه يمنح صاحبه مقياساً ثابتاً يزن به الأمور، ويحدد الجوانب التي تتفق مع نظرة الإسلام الكلية للحياة والناس، كما يحدد المصلحة الإسلامية أيضاً وفي قضية شديدة التعقيد كثيرة المداخل والشبهات (كالعولمة) تزداد الحاجة لهذا الميزان العقائدي الثابت.[1]

يقول المفكر الفرنسي المسلم **رجاء جارودي** عن هذه العولمة الأمريكية الصهيونية:

هذه الوحدة التي أسسها الحكام الأمريكان واللوبي الصهيوني «الآي باك» (AIPAC) وساسة دولة إسرائيل، تقوم اليوم – أكثر من أي وقت مضى – على وحدة الهدف الذي هو محاربة الإسلام، وآسيا اللذين يعدان أهم عقبتين في وجه الهيمنة العالمية الأمريكية والصهيونية.[2]

ويقول جارودي عن العولمة:

نظام يُمكّن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق.[3]

ويقول باحث آخر:

ومن المؤكّد أنّ المستهدف بهذا الغزو الثقافي هم المسلمون. وذلك لعاملين:

أ. ما تملكه بلادهم من مواد أولية هائلة يأتي على رأسها النفط والغاز وثروات طبيعية أخرى.

ب. ما ثبت لهم عبر مراكزهم وبحوثهم وجامعاتهم ومستشرقيهم إن هذه الأمة مستعصية على الهزيمة، إذا حافظت على هويتها الإسلامية، ومن ثمّ فالطريق الوحيد لإخضاعها يتمثل في القضاء على تفرد شخصيتها، وإلغاء دينها الذي يبعث فيها الثورة والرفض لكل أشكال الاحتلال والسيطرة.[4]

والأمّة العربية والإسلامية بالرغم من أنها تعيش حالة تجزئة سياسية وحالة تخلف اقتصادي وتقني إلا أنها تمتلك إمكانيات متعددة اقتصادية وثقافية وغيرها، إذ ما أحسن توظيفها وإعادة ترتيبها وتنسيقها يمكن أن تشكل حالة مؤثرة وفاعلة، وبالتالي تشكل حالة أمان قوي في مواجهة العولمة. **وإنّ المقوّمات الثقافية والقيم الحضارية التي تشكّل رصيدنا التاريخي، لن تُغني ولن تنفع بالقدر المطلوب والمؤثر والفاعل في مواجهة العولمة الثقافية، مادامت أوضاع العالم الإسلامي على ما هي عليه، في المستوى الذي لا يستجيب لطموح الأمة. ولا يحسُن بنا أن نستنكف من ذكر هذه الحقيقة، لأن في إخفائها والتستّر عليها، من الخطر على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله، ما يزيد من تفاقم الأزمة المركبة التي تعيشها معظم البلدان الإسلامية على المستويات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والعلمية.**[5]

إنّ المشروع الإسلامي العالمي هو الذي نستطيع به مواجهة خطر العولمة. لأنّه وحده الذي يملك مواصفات عقائدية، وتشريعية وثقافية وأخلاقية سليمة وصحيحة وقوية، ولأنّها وحدها التي تنسجم مع السنن الربانية في الكون، وتتفق مع الفطرة الصحيحة والعقل الصريح ويملك بالإضافة إلى ذلك تجربة تاريخية غنية صاغت حضارة عالمية متميزة، ما زالت آثارها ماثلة في كل مكان. والأهمّ من ذلك أنّ هناك أمّة عربية إسلامية ما زالت قائمة موجودة – رغم كل محاولات الإفساد والتضليل، والتشرذم والتقطيع، والتجهيل، والإفقار الذي مارسه الأعداء نحوها – يجمعها دين واحد، وقبلة واحدة وكتاب واحد، ولغة واحدة، وتاريخ واحد، وعادات وتقاليد واحدة، ولديها إمكانات مادية واقتصادية هائلة.

إنّ هذه الأمة العربية الإسلامية التي تمتد على مساحة واسعة من الأرض في آسيا وأفريقيا ذات النسيج الاجتماعي المتقارب والبنية الثقافية الواحدة، تشكّل زاداً قيّماً لمواجهة أخطار العولمة، وهو ما يفتقده الآخرون. وأوروبا خير مثال على هذا، فهي مؤلفة من أمم مختلفة ولغات متعددة، وشعوب متنافرة، وتاريخ متشابك، ومع ذلك فهي تسعى إلى إيجاد أوروبا واحدة.

ويمكن للعالم الإسلامي أن يواجه خطر العولمة من خلال حملة إسلامية شاملة متكاملة، عبر مخطط حضاري معاصر، تشترك فيها جميع الدول الإسلامية، ومؤسساتها الرسمية، والشعبية والجمعيات والأحزاب جميعاً. لأن مواجهة العولمة من الخطورة بحيث يجب أن نتعامل معها من مراكز قوية تدلل على وحدة الأمة، وقوتها وتكاملها وأهدافها النبيلة لخيرها وخير البشرية جميعًا.

مخاطر العولمة للمسلمين

ويمكن للمسلمين مواجهة خطر العولمة بتحقيق ما يلي:

• التمسك بالشريعة الإسلامية التي ارتضاها الله تعالى لنا، فوفقها ننظم حياتنا، ونربي أجيالنا، ونتبصر بحقائق الحياة. إن مجرد كوننا مسلمين جغرافيين لا يكفي لإنجاز وعد الله لنا بالنصر في مواجهة أخطار العولمة، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: «**إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**»[٦] فهل نحن نصرنا الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه؟

• تبني المنهج الشمولي في فهم الإسلام الذي يجمع بين العقيدة والشريعة والسلوك والحركة والبناء الحضاري، وفق منهج واع، أصولي سليم يعتمد فقط على العلم والعقل.[٧] وهذا يتطلب تغيير حياتنا منطلقين من قوله تعالى: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**»[٨]

• تغيير طبيعة النظام السياسي السائد في العالم الإسلام، من الاستبداد إلى الشورى، ومن مصادرة الرأي إلى الحرية في الرأي والمعارضة ومن مصالح الأفراد والأسر الحاكمة إلى مصالح الأمة، من حيث هي كل لا يتجزأ، ومن حكم الحكام إلى حكم المؤسسات الدستورية.

• تحقيق الوحدة الشاملة في العالم العربي والإسلامي. أي وحدة الأمّة التي تتحقق بوحدة العقول، والقلوب والعواطف الإيمانية، والمصالح والأهداف، والتضامن الكامل في إطار جامعة إسلامية واحدة أو في إطار المؤتمر الإسلامي الحالي، والذي تتولد منه قوة سياسة ومعنوية واحدة على أساس وحدة الأمة الواحدة، والمصير المشترك.

• وفي المجال الاقتصادي يمكن للعالم الإسلامي أن يواجه خطر العولمة بتحقيق السوق الإسلامية المشتركة. وتقوية المؤسسات العربية المنبثقة عن الجامعة العربية، ومؤتمر القمة الإسلامي، لأنّه يمتلك مخزوناً جباراً من رؤوس الأموال ومن الثروات الحيوية والمعدنية، بالإضافة إلى التلاحم الجغرافي، والتكامل في الموارد، ولهذا لو قامت تجارة فعلية بين العالم الإسلامي لأمكننا الاستغناء عن العالم الخارجي – على الأقل – في الاحتياجات الإستراتيجية، هذا على المستوى الخارجي.أما على المستوى الداخلي لكل دولة فيمكن أن تواجه خطر العولمة بزيادة التكافل الاجتماعي الذي ترعاه الدولة، وزيادة الرعاية الاجتماعية، والتأمينات الاجتماعية، وتقوية المجتمع المدني، وتعزيز المشاعر والأحاسيس الدينية.وتقوية الجوانب الفكرية والاقتصادية والفنية والاجتماعية وفق الثوابت الدينية (العقائدية والتشريعية).[٩] ولقد حذّر الرئيس الأسبق **حسني مبارك** في هذا الصدد من أن العولمة تفرض علينا أن نسارع في إقامة تجمّعنا الاقتصادي العربي، وإلاّ ضاعت مصالح الدول العربية فرادى وأغلقت مصانعها، وفقد الناس فرص العمل المتاحة لهم.

• وفي المجال الاقتصادي أيضاً لا بد من وجود التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، لأنّه هو الذي ينتهي إلى التوازن. ولابدّ من تكافؤ الفرص أمام الجميع، وعدم تعطيل الطاقات الإنسانية.. وتغليب الاتجاه الجماعي في الاقتصاد الإسلامي، لتغليب مصالح الأكثرية الفقيرة الكادحة. والتأكيد على حرمة كنز الأموال وحبس الثروات، إذ لابد من توظيفها لأداء وظيفتها الاجتماعية. كما أنّ الدولة لها الحق في التدخل في الحياة الاقتصادية، كلّما رأت الضرورة في تحقيق مصالح العباد. واعتبار أنّ العمل هو المعيار الأساسي، وهو نابع من فكرة الاستخلاف، ويلتزم المجتمع بإيجاد عمل لكل قادر. ولابد من المحافظة على رأس المال وإنمائه، وعدم إضاعته. يقول الاقتصادي الفرنسي **جاك أوستروي: إنّ طريق الإنماء الاقتصادي ليس مقصوراً على المذهبين المعروفين الرأسمالي والاشتراكي، بل هنالك مذهب اقتصادي ثالث راجح، هو المذهب الاقتصادي الإسلامي**، ويقول: **إنّ هذا المذهب سيسود عالم المستقبل، لأنّه أسلوب كامل للحياة.**[١٠]

يقول أستاذ الاقتصاد الإسلامي في الجامعات المصرية الدكتور **عبد الحميد الغزالي:**

بعد سقوط الاشتراكية، وتبني جوربا تشوف – الرئيس السوفيتي السابق – البيريسترويكا، التي أراد من خلالها أن يبحث عن طريق غير الرأسمالية، لأنّه أعلم بمشاكلها – أرسل وفداً ليدرس النظام الإسلامي للاستفادة منه، وشكّلت لجان في مركز الاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الأزهر من المتخصصين، وعكفت هذه اللجان على صياغة برنامج متكامل للنظام الإسلامي في شكل بنود وفقرات، قدّمنا فيه نظاماً اقتصادياً تشغيلياً، يبدأ بفلسفة النظام، والعمل، والأجور، ونظام الملكية المتعددة، والاستهلاك، والاستثمار، والادخار، والشركات، وصيغ الاستثمار والسياسة النقدية، والسياسة المالية.. إلى آخر مكونات النظام الاقتصادي الفاعل. وعندما قدّمنا هذا النظام للوفد، تساءل رئيسه الوزير بافلوف: لديكم مثل هذا النظام، وأنتم على هذه المسألة من التخلف؟ وأسندت أمانة المؤتمر الردّ إليّ، فكان ردّي:" لأننا بعيدون تماماً عن هذا النظام.[١١]

• الاستفادة من رصيد الأمة العربية الإسلامية في ولوج عصر العولمة، وهذا يقتضي أن تسعى الشعوب المسلمة، وقياداتها العلمية والدعوية إلى ترجمة حقيقة الأمة المسلمة الواحدة على أرض الواقع، وذلك بتحصين الثوابت العقائدية التي قامت عليها هذه الأمة.

• الاجتهاد في تلافي الأمراض والسلبيات، والبناء على الإيجابيات. لا شك أن هناك بعض الأمراض والسلبيات التي تعاني منها هذه الأمة، لذلك فالمطلوب من مفكري الأمة وعلمائها، وقادتها: معرفة ودراسة أمراضها وحصر سلبياتها، ووضع الدواء الشافي لعلاجها ومعافاتها.

• دراسة السّنن الكونية دراسة علمية موضوعية، وتسخير هذه السّنن في الكون والحياة – للدخول إلى العصر الحضاري الإسلامي الجديد – وفق الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. والاستفادة منها في تسخير إمكانات العالم الإسلامي المادية والمعنوية وثرواته المتنوعة الهائلة، كي نحدث تنمية حضارية واجتماعية شاملة تحفظ علينا شخصيتنا المعنوية المتميزة وكياننا المادي المستقل.

• محاربة مظاهر البدع والخرافات، والتبعية، والتواكلية، التي أخرّت تقدّم الأمّة ونهضتها عبر العصور الأخيرة.

• الردّ على الغزو الثقافي للعولمة الأمريكية الصهيونية من خلال الفكر الإسلامي، وفق المنهج العلمي السليم، بجميع الوسائل التي يعتمد عليها من خلال كافة الجوانب الفكرية والفنية والأدبية التي يعرضونها من خلال أفكارهم المناقضة للإسلام.[١٢] ونقترح في هذا المجال إيجاد أكثر من قناة فضائية تبث برامجها المخصصة لمواجهة تيار العولمة، بمختلف لغات المسلمين.

• الاهتمام بتربية الأسرة المسلمة وتثقيف أفرادها وتوعيتهم، وتوجيههم من خلال أجهزة الدولة المختلفة.ومن خلال الوسائل والبرامج التي تشترك جميعاً في تكوين أجيال تشعر بانتمائها الإسلامي، وانتسابها الحضاري للأمة العربية والإسلامية.إنّها التربية الإسلامية التي تهدف إلى صياغة الفرد صياغة إسلامية حضارية، وإعداد شخصيته إعداداً كاملاً من حيث العقيدة، والأخلاق والقيم، والمشاعر والذوق، والفكر، والمادة حتى تتكوّن الأمّة الواحدة المتحضرة التي لا تبقى فيها ثغرة تتسلل منها إغراءات العولمة اللادينية الجنسية الإباحية.[١٣]

• ترشيد وتوجيه الصحوة الإسلامية – التي جاءت تعبيراً عن العودة إلى الإسلام، ورفض التغريب – والاستفادة منها في مواجهة أخطار العولمة. وتهيئة صفوف الأمة للبناء، والتعمير، والجهاد، والحركة والتغيير.

• إن المنظمات الإسلامية الشعبية – التي تتميز بأنها تضم أعداداً كبيرة من القادة الناضجين الواعين الذين صقلتهم التجربة، ولهم حضورهم المؤثر ونفوذهم الواسع في بلادهم، وتمنحهم صلتهم المباشرة بقطاعات واسعة من الشعب المسلم – هذه المنظمات تستطيع أن تمارس ضغوطاً مؤثرة على مواقف الحكومات، شريطة أن تنسّق خطواتها ضمن برامج مدروسة تضمن الاستمرار والمتابعة، ومواكبة ظروف الحركة وتطوّراتها الكثيرة المعقدة.

إنّ بعض الأسلحة المعاوِنة للعولمة – بقصد أو غير قصد – هي تشجيع الفساد والانحلال والاستغراق في الشهوات، وتبذير المال القليل على مسايرة المظاهر وتُمّنى الاستهلاك، ويُحسن الشباب المسلم صُنعاً إذا تعاون على مكافحة هذه الأوبئة من خلال المساجد، والمراكز الثقافية ووسائل النشر المتاحة. وواجب الشباب المسلم أن يُقبِل بشجاعة وحماس على العلم النافع، واكتساب المعارف والمهارات، ولا سيما استخدام التقنية الحديثة التي باتت تفتح آفاقاً واسعة لإنسان الغد.[١٤]

• إعادة النظر في مشكلاتنا الاجتماعية في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية العامة، ومقاصدها وغاياتها الحكيمة، في الحياة لتحديد أولاً مسؤولية الأسرة, والمدرسة والجامعة ومعاهد التعليم، ومؤسسات المجتمع المدني في القيام بواجباتها في هذا الجانب.

• إقامة المجتمعات الإسلامية على القاعدة الإيمانية التي تجمع بين المسلمين جميعاً دون الالتفات إلى اختلاف اللغة أو اللون أو العرق. ومعاملة أهل الأديان جميعاً وفق القاعدة التالية: «لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين» أي تحقيق العدالة المطلقة للجميع، إلاّ فيما يخصّ القضايا التشريعية الخاصة بكل أهل دين، فالبشر جميعاً كرامتهم مصانة في إطار المجتمع الإنساني.

• رفض المخططات الصهيونية اليهودية والأمريكية، وعدم الاعتراف بأية تسوية سياسية مع الكيان الصهيوني على حساب أرض فلسطين المقدسة والعمل الجاد على إعداد الأمّة للجهاد، مع الإيمان الكامل بأنّ ما أُخذ بالقوة العسكري – في فلسطين بالذات – لا يمكن أن يسترد إلاّ بالقوة نفسها ولو طال الأمر عشرات أخرى من السنين، باعتبار أنّ القضية الفلسطينية هي قضية المسلمين الأولى.[١٥]

الهوامش:

١. من مقال بعنوان «الشباب المسلم والعولمة»، كامل الشريف، موقع المنار، شبكة المعلومات الدولية.
٢. «العولمة والمستقبل، استراتيجية تفكير»، سيار الجميل، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، ص ٢٢.
٣. «العولمة وعالمية الإسلام»، جريدة البيان الإماراتية، الخميس ٢ رمضان ١٤٢٣ق. / ٧ نوفمبر ٢٠٠٢م.
٤. «العولمة بين منظورين»، د. محمد المخرون، البيان، السنة ١٤، العدد ١٤٥، رمضان ١٤٢٠ق. / كانون ١٩٩٩م.، صص ١٢٦-١٢٧؛ «العولمة في الإعلام»، د.مالك بن إبراهيم بن أحمد، البيان، ذو الحجة ١٤٢٠ق. / آذار ٢٠٠٠م.، عدد ١١٤، ص ١١٤.
٥. «العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي»، الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أيسيسكو، الرياض.
٦. سورة محمد، الآية ٧.
٧. «العولمة من منظور إسلامي»، د. محسن عبد الحميد، موقع الإسلام على الطريق، شبكة المعلومات الدولية.
٨. سورة الرعد، الآية ١١.
٩. «العولمة من منظور إسلامي».
١٠. «النظام الاقتصادي الإسلامي، مبادؤه وأهدافه»، أحمد محمد العسال وفتحي عبد الكريم، الطبعة الثانية، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٧٧م.، صص ١٣-١٤.
١١. «العولمة من منظور إسلامي».
١٢. المصدر السابق.
١٣. «العولمة والمستقبل، استراتيجية تفكير»، ص ٩٩.
١٤. من مقال الأستاذ كامل الشريف.
١٥. «العولمة من منظور إسلامي».

المصدر: صالح الرقب؛ «العولمة»، الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.ق.

تنظيم الفرسان

وكان الهدف الأولي من تشكيل هذه المجموعة يتمثل في المشاركة في «الحروب الصليبية» على غرار سائر الفرسان الذين إنحدروا نحو الشرق. وتولى هؤلاء في «أورشليم» مهمة حماية الزوار، لكن وبعد إبادتهم في الحرب التي استولى خلالها المسلمون على «عكا»، هاجر عدد ضئيل منهم إلى مناطق مختلفة من «اروبا» وهم يحملون معهم ثروة طائلة وغنائم خاصة.

ويقول **ويل ديورانت** حول المجموعات والفرق الاجتماعية للفرسان في أورشليم:

وكانت مملكة أورشليم حديثة التأسيس تملك مقومات ضعف كثيرة، لكنها كانت تتمتع بدعم هائل من مجموعات جديدة مؤلفة من الرهبان المناضلين. ولفترة طويلة قبل هذا الحادث ومنذ عام ١٠٤٨ للميلاد، كان تجار «أمالفي» قد بنوا باذن من المسلمين مستشفى للزوار الفقراء أو المرضى المسيحيين في أورشليم.

وأقدم **ريموند دوبوي** بنحو عام ١١٢٠ للميلاد على تحويل طاقم هذه المؤسسة إلى فرقة دينية إلتزم أعضاؤها من خلال أداء اليمين بمراعاة الطهر والفقر والطاعة وحماية المسيحيين في «فلسطين». وهذه الفرقة التي اشتهر اعضاؤها باسم «الفرسان المضيافون» أو «فرسان يوحنا الحواري» تحولت إلى أحد أرفع الجمعيات الخيرية في العالم المسيحي. وفي هذا التاريخ على وجه التقريب (١١١٩م.) كرس **أوغ دوبين** وثمانية أخرون من الفرسان الصليبيين، أنفسهم لإقامة النظام والرهبنة والقتال في سبيل إعلاء المسيحية. وحصلت هذه الجماعة من **بودوين الثاني** على مقر إقامة بالقرب من «هيكل سليمان» ولذلك لم يمض وقت حتى لقبت بـ«فرسان الهيكل». ووضع **القديس برنارد** قوانين صارمة لهم لم تدم مراعاتها. ووصف هذا الزاهد المسيحي، هؤلاء الفرسان بانهم أمهر الأشخاص في فنون الحرب والقتال تمجيدا لهم وأمرهم بان قلما يستحموا وأن يحلقوا رؤوسهم بالموس كاملا. وقال برنارد متوجها إلى فرسان الهيكل:

إن المسيحي الذي يقتل كافرا في الجهاد، سيكافأ حتما، وإن قتل هو، فان نيله هذه المكافأة سيكون أكثر حتمية. إن الإنسان المسيحي يعتز بموت الكافر، لانه يمكن عن هذا الطريق التسبيح لعيسى.

وكان مستهل هذا البرنامج يحوي جملة وكأنها تمثل رنينا لأوامر نبي الاسلام موجهة إلى المسلمين. وكان برنارد يؤمن أنه إن كان الأشخاص يطلبون الإنتصار على عدوهم، فيجب تعليمهم أن يقتلوا العدو براحة بال وضمير. وكان فارس مضياف يرتدي جبة سوداء نقش على كمها الأيسر، صليب أبيض، وكان فارس الهيكل يرتدي جبة بيضاء نقش على معطفها صليبا أحمر. ومن الناحية الدينية، كان أفراد كل فرقة يكرهون أفراد الفرقة الاخرى. وانتقل أنصار كل فرقة من حماية وتحسين حالة الزوار إلى مداهمة حصون ومواضع المسلمين تدريجيا، وبالرغم من أن عدد أنصار فرسان الهيكل كان يبلغ ثلاثمائة شخص فحسب ومجمل أفراد الفرقة الاخرى بنحو ستمائة شخص، إلا أنهم اضطلعا عام ١١٨٠ للميلاد، بدور بالغ في الحروب الصليبية ونالوا شهرة كبيرة بوصفهم «مقاتلون أبطال». وكانت كلتا الفرقتان تبذلان جهدا لاستقطاب المساعدات المالية وكانوا يجبون المال من الكنيسة والحكومات ومن الفقير والغني. وفي القرن الثالث عشر، أصبحت كل فرقة صاحبة ممتلكات عظيمة في أوروبا وتشمل الأديرة والقرى والمدن. ونالت كلتا الفرقتان إعجاب واستحسان المسيحيين والمسلمين من خلال تشييد قلاع عظيمة في «سورية»، وعلى الرغم من أن كل فرد من هؤلاء المقاتلين، إعتمد الفقر شعارا له، لكنهم كلهم كانوا يتمتعون بالبهرجة والنعمة في خضم معاناة ومقاساة الحرب. وفي عام ١١٩٠ للميلاد، آزر الألمان المقيمون في فلسطين، عددا قليلا من أنصارهم في الوطن وأسسوا «فرقة توتوني الفرسان» وبنوا مستشفا بالقرب من عكا.[١]

تغيير مهمة فرسان الهيكل

وفي البداية لم يكن الفرسان يملكون مالا ولا ملبسا يكسوهم جيدا. لقد كانوا يعتاشون على المساعدات الانسانية وصدقة ملك أورشليم أي بالدوين الثاني الذي كان إبن عمه **غادوفروي دو بويلن**[٢] إستولى على الأرض المقدسة قبل تسعة عشر عاما وعندما توفى غادوفروي عام ١١٠٠ للميلاد، تولى أخوه الأصغر بالدوين، حماية القبر المقدس لملك أورشليم. وفي عام ١١١٨ للميلاد، إعتلى بالدوين الثاني العرش. وأظهر إحترامه وتقديره لفرسان الهيكل من خلال إعطائهم منازل في إحدى إمارات قصره والتي كانت شاسعة بما يكفي لعيشهم هم وأحصنتهم براحة. وكان هذا القصر ومقر إقامة أهالي الهيكل، يقع في موقع هيكل سليمان القديم، ومن هنا ولهذا السبب أطلق عليهم إسم فرسان الهيكل.

ويقول **عبد الله شهبازي** في هذا الخصوص:

وكان فرسان الهيكل في البداية، إسم فرقة من الفرسان الفرنسيين التي تأسست عام ١١١٨ للميلاد في بيت المقدس بعد إحتلالها على يد الصليبيين. وشكل ٩ من الفرسان فصيلا وأطلقوا على أنفسهم إسم «جنود المسيح الفقراء». ونشر **بالدوين و كونت فلاندرز** وآمر الجيوش الصليبية الذي كان يسمى نفسه ملك أورشليم، هذا الفصيل بالقرب من هيكل سليمان وأوكلوا إليه مهمة حماية الزوار المسيحيين. وبذلك سمي أعضاء هذا الفصيل جنود المسيح الفقراء و هيكل سليمان.

وتوسع هذا الفصيل شيئا فشيئا وتحول إلى تنظيم مرتزقة عسكريين يعرضون خدماتهم على الحكام الصليبيين. وأصبحت قدراتهم العسكرية محط اهتمام بحيث أوكلت إليهم مهمة نقل سبائك الذهب والأموال المنهوبة من الشرق إلى «بارس» و «لندن».[٣]

ويقول **ستيفن رونسيمان** مؤلف كتاب «تاريخ الحروب الصليبية» حول تأسيس هذه الفرق:

إن أهم تطور داخلي لهذه السنين تمثل في إرساء الفرق العسكرية. ففي عام ١٠٧٠ للميلاد، قام عدد من المحسنين الأمالفيين باقامة فندق لاستقبال الزوار الفقراء في أورشليم. وقد سمح الحاكم المصري للمدينة آنذاك، لأهالي «ألمالفي» باختيار أرض ملائمة لبناء فندقهم عليها. وقد اقتبس هذا التنظيم إسمه من **جان** (يحيى) القديس المكنى **بيحيى المتصدق** على غرار محسني القرن السابع بالاسكندرية. وكان معظم القائمين على الفندق من أهالي أمالفي وقد أدى الجميع قسم الرهبان، وانهمك الجميع باسداء الخدمة تحت إشراف مرشد كان يعمل بدوره تحت إمرة أولياء فرقة «بنديكت القديس» في فلسطين. وعندما استولى الصليبيون على أورشليم، كان مدير هذا التنظيم رجل يدعى **جرارد** وعلى الأرجح من أهالي أمالفي. وقبل بدء محاصرة المدينة، كان الحاكم المسلم لأورشليم قد طرده مع باقي زملائه في العقيدة من المدينة. إن معرفة هذا الرجل باوضاع وأحوال الموقع، كان مفيدا جدا للصليبيين. وحرض الفرنج ليضعوا موقوفات جديدة بتصرف الفندق. وأصبح عدد غفير من الزوار في خدمة هذا التنظيم ولم يمض وقت طويل حتى خرج التنظيم عن طاعة فرقة بنديكت القديس وأسس فرقة خاصة به، يأتمر فيها مباشرة بأمر البابا وعرف بفرقة «الاسباتارية» وحصل على مزيد من الموقوفات. وقام معظم رجال الدين الشهيرين في منطقة اورشليم بوقف عشر مداخلهم له. وتوفى جرارد بنحو عام ١١١٨ للميلاد. وكانت لخليفته الفرنسي **ريموند دوبوي** تطلعات وأمنيات أرفع. وكان يرى أن إرشاد واستقبال الزوار لا يكفي بالنسبة لمريديه وأنصاره، بل إضافة إلى ذلك، يجب الحفاظ على أمن الزوار، كما يجب أن يكونوا دائما في جهوزية من أجل القتال.

وكان معظم مريدي هذه الفرقة من الذين لا يقومون بعمل سوى الأعمال الروحانية، لكن الواجب الرئيسي للفرقة تمثل اليوم في تجميع مجموعة من الفرسان يقسمون أن يقضوا عمرهم في التقوى والتنسك والإحجام عن الملذات الجسدية، وأن يكرسوا حياتهم لمحاربة الكفار، وفي هذه الأثناء ومن أجل تعزيز أساس الفرقة، أعطى جان المتصدق، الذي كان لحد الان المرشد الأعظم للفرقة، مكانه لـ جان الملقب بقارئ الإنجيل. وكان الوسام الخاص لفرسان فرقة الاسباتارية، على شكل صليب أبيض اللون يعلق على قميص موحد يرتدونه على جوشنهم.

وهذا التغيير عزز مكانة فرقة الداوية.[٤] والأرجح أن تكون فكرة إيجاد فرقة دينية لا تخشى الحرب، رشحت للمرة الاولى من ذهن فارس من أهالي «شامباني»[٥] يدعى **هوغس دي باينز**.[٦] وقام هذا الرجل عام ١١١٨ للميلاد، وإبان عهد «بالدوين الثاني» بوضع جزء من القصر الملكي الذي كان في الحقيقة المسجد الاقصى للمسلمين ويقع في باحة الضريح، بتصرفه من أجل إقامته وأنصاره في العقيدة. وكان فرسان الهيكل، شأنهم شأن فرقة الاسباتارية، بداية من أتباع بنديكت القديس لكنهم سرعان ما رفعوا شعار الإستقلال وصنفوا لأنفسهم ثلاث شرائح مختارة، الأولى، الفرسان الذين كانوا يصطفون من بين النبلاء، والثانية، النواب من الطبقة المتوسطة أي الخدام والثالثة رجال الدين الذين كانوا يتولون أداء الشؤون المدنية. وكان وسام المنتمين إلى هذه الفرقة هو صليب أحمر اللون يخيطه الفرسان على قميصهم الأبيض والنواب على قميصهم الأسود. والواجب الاول الذي كان يقسم هؤلاء على تأديته هو حراسة وحماية الطريق الوصال بين أورشليم وساحل البحر من خطر القرصان واللصوص، لكن لم يمض وقت حتى انخرطوا في كل معركة حصلت لدولة أورشليم. وقد أمضى هوغس معظم حياته في أوروبا لجمع الجنود لفرقته.

وكان الملك بالدوين يحمي هذه الفرق، ولم يتدخل في شؤونهم البتة، لانهم لم يكونوا يعترفوا بسلطة سوى سلطة البابا، وحتى أن الموقوفات الواسعة التي كان الملك أو أمراؤه يضعونها بتصرف هاتين الفرقتين، لم تلزمهما القيام باي خدمة عسكرية، لكن جيلا مر حتى تقوت هاتان الفرقتان لدرجة أنهما تساويتا مع قوة الملك.[٧]

واعتبر الفرسان الذين توجهوا إلى الشرق للإنضمام إلى الفرقتين العسكريتين، فرسان الهيكل والاسباتارية، عاملا مؤثرا ودائما لتعزيز البنية العسكرية لمملكة أورشليم. وتولت هاتان الفرقتان تدريجيا دور الجيش الدائم للدولة، كما أن العقارات الواسعة التي وهبها الملك وحاشيته لهاتين الفرقتين، تعد بحد ذاتها مؤشرا على مدى الدعم الذي كانت تتمتع به هاتان الفرقتان من هذا وذاك.[٨]

الهوامش:

١. ديورانت، ويل، «قصة الحضارة»، ج ٤، (عصر الإيمان)، صص ٢٩٣-٢٩٤.

2. Godefroy de Bouillon.

٣. شهبازي، عبدالله، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ٢، صص ٢٦-٢٧.

4. Templar.
5. Champagne.
6. Payen.

٧. رونسيمان، ستيفن، «تاريخ الحروب الصليبية»، ترجمة منوجهر كاشف، مؤسسة ترجمة ونشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٣٦٠هـ .ش.، ج ٢، صص ١٨٠-١٨١.

٨. رونسيمان، ستيفن، «تاريخ الحروب الصليبية»، ص ٢٨٨.

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة » (الجزء السادس): فرسان الهيكل وأسس الماسونية، إسماعيل شفيعي سروستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

سوريا – القسم الثاني

محمّد حسين مظفر

حلب

ارتفع منار التشيع في «سوريا» و خفق لواءه حين نبغت الدولة الحمدانية في «حلب» و «الشام» و «الجزيرة»، و الدولة الفاطمية بـ«مصر»، و كانت تلك العصور المتقاربة جل ملوكها و امرائها من الشيعة كآل **بويه** بـ«فارس» و «العراق»، و **بني مزيد** في «الحلة» و «النيل»، و **بني شاهين** في «البطائح»، و **ناصر الدولة آل حمدان** في «الموصل» و ما والاها، و اما الوزراء كـ**ابن العميد** و **الصاحب بن عباد** فما أكثرهم، كما انه في تلك الآونة نبغ من علماء الشيعة في كل فن ما يعجز القلم عن عدهم، كـ**الشيخ المفيد**، و **الشريفين**، و **الطوسي**، و **ابن الجنيد** في «بغداد»، و **ابن خالويه** و **بني زهرة** بعده في حلب، الى غيرهم، و اما الشعراء فحدث عن كثرتهم و لا حرج، و ان اردت ان تعرف شيئا عنهم فعليك بيتيمة الدهر للثعالبي، و قد عقد فصلين احدهما في شعراء سيف الدولة و الآخر في شعراء الصاحب و سوف تجد الكثير منهم ضمن هؤلاء.

ظهرت دولة سيف الدولة **علي بن عبد الله بن حمدان** في حلب و الشام و «الجزيرة»[1] فتوافدت عليه ملة العلم و نوابغ الشعراء فرقد الوافدين، و أسعف المادحين، بما تبلغه امانيهم، و تتمناه نفوسهم، فصارت انديته الخاصة اشبه بحلقات الدرس في فنون العلم و الادب، فكأنما هو عالم اديب سجيته طرح المسائل على الحضور في اللغة و الشعر و غيرهما، و كأنه لم يكن ملكا كسواه يستخفه الطرب و اللهو، و يطربه العود و المزمار، و يغتنم الفرص لمغازلة الغادة المعطار، و قضى أكثر ايام سلطانه في حرب «الروم» له و عليه، فكانت الغزوات التي بينه و بينهم تناهز الاربعين غزوة، و كان يجمع الغبار الذي يقع عليه في غزواته للروم حتى اجتمع منه لبنة، فاوصى ان يجعل خده عليها في قبره، فنفذت وصيته، كما يذكره **ابن الاثير** و **ابن خلكان**.

و قد أسر الروم في تلك الغزوات ابن عمه **ابا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان**[2] مرتين كانت الاولى عام ٣٤٨، و الثانية ٣٥١ و أرسلوه الى «القسطنطينية»، و اقام في الاسر اربع سنين، و له في الاسر شعر كثير موجود في ديوانه كان يرسله الى سيف الدولة والى ابني اخته **ابي المعالي** و **ابي المكارم** ابني سيف الدولة، و لابي **فراس** شعر في أهل البيت عليهم السلام، و لو لم تكن له الا ميميته المسماة بالشافية التي مطلعها:

الحق مهتضم و الدين مختزم

و في آل رسول الله صلى الله عليه وآله مقتسم في «بصرة» اهل البيت عليهم السلام لكفى، فانها كانت تعادل في يومها مائة ألف سيف في نجدة آل الرسول صلى الله عليه وآله و نصرة الحق و الدين يقول ابن خالويه جامع ديوانه[3] و الشارح شرحا موجزا لبعض الوقائع و الحوادث التي فيه في سبب انشائه لهذه القصيدة: ان ابن سكرة الهاشمي العباسي عمل قصيدة يفاخر فيها ولد ابي طالب عليه السلام و يتحامل فيها عليهم اولها.

بني علي دعوا عضيهتكم[4]

لا يرفع الدهر وضع من وضعه فلم يجبه ابو فراس تنزها عن مناقضته و سفاهته في شعره، فقال في اهل البيت عليهم السلام هذه القصيدة و سماها الشافية.

ففي ايام سيف الدولة ارتفع شأن التشيع في سوريا، و انتشق اهله الهواء الطلق بعد ان حبسه عنهم ارباب السلطات المتعاقبة، و بعد ان طال عليهم الانقباع بين جدران التقية، فكانت بقاع سوريا أيام الحمدانيين مكتظة بالشيعة، كحلب و نواحيها، و «بعلبك» و قراها، و «جبال عاملة» و سواحلها بل كانت منهم فئة في محيط «دمشق» و بين بيوتها، كما ان هذه البلاد الى اليوم راسخة القدم في التشيع كما كانت من قبل سوى حلب نفسها.

و قد اختلف على حلب خاصة من العلماء الجم الغفير ايام الحمدانيين و منهم **الشريف ابو ابراهيم** جد بني زهرة، فكان بنو زهرة بعد هذا بحلب، و قد نبغ منهم عدة علماء[5] تعاقبوا الواحد تلو الآخر، و كانت لهم السلطة الروحية في حلب و اطرافها و المرجعية في الفتيا، و اشتهروا بالعلم و التشيع حتى قال صاحب القاموس في «ز ه ر» :

و بنو زهرة شيعة بحلب، و قد خرجت حلب كثيرا من العلماء غير بني زهره.[6] بل نشأ من الحمدانيين أنفسهم علماء كثر[7] و هذا ما يرشدنا الى رواج سوق العلم الديني ذلك العهد، و لعلنا من ذلك نعرف مبلغ اهتمام سيف الدولة برجال العلم، و ترويجه لهذه البضاعة الثمينة، فان تولد هذه الروح في حلب كانت في عهده و نمت بسقيه.

و أما بقاء التشيع في حلب كلها بعد الحمدانيين فأمر بيّن معروف، يشهد له ما ذكره ابن الاثير في «حوادث عام» ٤٦٣، ج١٠، ص٢٣ قال:

و في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب للقائم بأمر الله و للسلطان ألب ارسلان، و سبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان و قوتها و انتشار دعوتها فجمع أهل حلب و قال: **هذه دولة جديدة و مملكة شديدة و نحن تحت الخوف منهم، و هم يستحلون دماءكم لاجل مذهبكم**[8] **و الرأي ان نضم الخطبة قبل ان يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول و لا بذل، فأجاب المشايخ ذلك، و ليس المؤذن السواد**، و خطبوا للقائم بأمر الله و للسلطان، فأخذت العامة حصر الجامع و قالوا: هذه حصر علي بن ابي طالب عليه السلام فليأت **ابو بكر** بحصر يصلي عليها الناس، و قال: **و في هذه السنة سار السلطان ألب ارسلان الى حلب و قد وصلها نقيب النقباء ابو الفوارس طراد بالرسالة القائمية و الخلع**، فقال له **محمود صاحب** حلب: **اسألك الخروج الى السلطان و استعفاءه لي من الحضور عنده، فخرج النقباء** و أخبر السلطان بانه ليس الخلع القائمية و خطب، فقال: **و أي شيء تساوي خطبتهم و هم يؤذنون حي على خير العمل.**[9]

و ما زال التشيع في حلب راسي البناء، حتى ان السلجوقيين الاتراك حاولوا مرات عديدة القضاء عليه فيها فما استطاعوا، الا انه تمكن من ضربه **صلاح الدين الايوبي** و سلالته، و كان المؤذن يؤذن في جوامعها بحي على خير العمل، انظر مجلة المقتبس ج ٦، ع ١٠.

و اما ابن كثير الشامي فقد ذكر ان صلاح الدين لما جاء الى حلب و نزل بظاهره اضطرب و اليه[10] و رغب أهل حلب في حرب صلاح الدين فعاهده جميعهم في ذلك، و لكن شرطوا عليه أمورا، منها ان يفوض أمور عقودهم و أنكحتهم الى الشريف الطاهر ابي المكارم **حمزة بن زهرة الحسيني**، الذي كان مقتدى شيعة حلب، فقبل منهم الوالي جميع تلك الشروط، الا انه لم يدخل **صلاح الدين** الى حلب بحرب، بل دخلها سلما[11] و لم يثنه ذلك عن الفتك بالشيعة الفتك الذريع.

و لما تصرمت حبال الدولة الايوبية لم يقض التشيع في حلب كما قضى في مصر، بل بقي رصين الأس كما يخبرنا بذلك ياقوت الحموي في «معجم البلدان» قال في حلب: **و الفقهاء يفتون على مذهب الامامية**، و قال: و عند باب الجنان مشهد علي بن ابي طالب عليه السلام رؤي فيه في النوم، و داخل باب العراق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة زعموا انه خط علي بن ابي طالب عليه السلام، و في غربي البلد في سفح بلد الجوشن قبر المحسن بن الحسين عليه السلام يزعمون انه سقط لما جيء السبي من العراق ليحمل الى دمشق، أو طفل كان معهم فدفن هناك[12] و بالقرب منه مشهد مليح العمارة، تعصب الحلبيون و بنوه أحكم بناء و انفقوا عليه أموالا يزعمون انهم رأوا عليا عليه السلام في المنام في ذلك المكان.

و هذه الآثار التي يذكرها ياقوت هي من دلائل تشيع الحلبيين فهي على التشيع الى عهده، و كتب ذلك عن حلب عام ٦٣٦ فيكون ذلك بعد دخول الايوبي لها سلما بسبع و خمسين سنة، و الى ذلك اليوم كان فيها اعلام من بني زهرة.

الهوامش:

١. استولى على حلب عام ٣٣٣، و كانت تحت سلطة الاخشيد، و كانت ولادته عام ٣٠٣ و وفاته عام ٣٥٦ و دفن في ميافارقين في تربة اعدت له.

٢ يقال: ان مولده عام ٣٢٠ و قد قتل عام ٣٥٧ في حرب جرت بينه و بين أبي المعالي ابن سيف الدولة بعد وفاة سيف الدولة فاستظهر عليه ابو المعالي و له ابيات مثبتة في ديوانه ينعي بها نفسه مخاطبا زوجة ابنه و قيل ابنته، اولهن:

و هكذا استمر التشيع في حلب رفيع البناء لم تقلعه تلك الهزات العنيفة، و لم تردمه تلك العواصف الشديدة، الى ان أفتى الشيخ نوح الحنفي في كفر الشيعة و استباحة دمائهم و أموالهم تابوا او لم يتوبوا[١٣] فزحفوا على شيعة حلب و أبادوا منهم اربعين الفا او يزيدون، و انتهت أموالهم و أخرج الباقون منهم من ديارهم الى «نبل» و «النفاولة» و «ام العمد» و «الدلبوز» و «الفوعة» و غيرها من القرى، و اختبأ التشيع في أطراف حلب في هذه القرى و البلدان، و لم يبق في حلب شيعي أبدا، و يقال: ان لبني زهرة اليوم ذرية في الفوعة و لكن لا يعرفون بني زهرة، و يوجد اليوم في حلب قليل من الشيعة سكنوها بعد تلك الحادثة المؤلمة، و هذه احدى الوقائع الممضة التي شاهدها الشيعة من أجل ولائهم لاهل البيت عليهم السلام و تمسكهم بعرى مذهبهم.

و هاجم الامير **ملحم بن الامير حيدر** بسبب هذه الفتوى جبال عاملة عام ١٠٤٨ فانتهك الحرمات و استباح المحرمات يوم وقعة قرية «انصار» فلا تسل عما أراق من دماء، و استلب من اموال، و انتهك من حريم، فقد قتل الفا و خمسمائة، و اسر الفا و اربعمائة، فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف بـ«بيروت».[١٤]

فيا لله من هذه الجرأة الكبرى على النفوس و الاعراض، و من تلك الفتيا التي غررت بأولئك على تلك الفظائع و الجرائم، فالله الخصم و الحكم.

ابنيتي لا تجزعي كل الانام الى ذهاب و كان ابو فراس خال ابي المعالي، و لما بلغ الخبر اخته سخينة ام ابي المعالي لطمت وجهها فقلعت عينها، و قتل ابوه ابو العلاء سعيد بن حمدان في رجب عام ٣٢٣ قتله ناصر الدولة ابن اخيه عبد الله بن حمدان.

٣. جمع العلامة ابن خالويه شعر ابي فراس و شرحه شرحا موجزا و ديوانه المطبوع قبلا ينقص عن المخطوط بكثير من الشعر و ليس فيه ذلك الشرح كما ان المخطوط مرتب على حروف الهجاء و المطبوع غير مرتب و من الزيادات قصيدة في رثاء الحسين مطلعها:

يوم بسفح الدير لا انساه اولى له دهري الذي أولاه و عندي نسخة من هذا الديوان بخطي استنسختها على نسخة قديمة.

٤. العضيهة: الكذب و النميمة و الافك و البهتان.

٥. منهم عبد الله بن زهرة، و ابو المكارم حمزة بن علي بن زهرة، و احمد ابن القاسم بن زهرة، و احمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن زهرة، و احمد بن محمد بن الحسين ابن زهرة، و الحسن بن محمد ابن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة، و الحسين بن علي بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة، و علي بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة، و علي بن محمد بن زهرة، و محمد بن ابراهيم بن محمد بن زهرة، و ابو حامد محمد بن زهرة و محمد بن ابي القاسم عبد الله بن علي بن زهرة، الى غير هؤلاء و تجد تراجمهم في «امل الآمل».

٦. منهم احمد بن عيسى بن محمد الخشاب الحلبي، و ثابت بن احمد بن عبد الوهاب الحلبي و جعفر بن مليك الحلبي، و الحسن بن الحسين ابن الحاجب الحلبي، و الحسين بن حمزة الحلبي، و عبد الملك بن قذة الحلبي، و علي بن الحسن بن ابراهيم الحلبي العريضي، و كتائب بن فضل الله بن كتائب الحلبي، و محمد بن لعي بن الحسن الحلبي، و المظفر بن طاهر بن محمد الحلبي، و وثاب بن سعد بن علي الحلبي، الى غير هؤلاء، و تراجمهم ايضا في «أمل الآمل».

٧. منهم محمد بن علي الحمداني، و محمد بن حمدان بن محمد الحمداني، و محمد بن محمد بن علي بن ظفر الحمداني، و محمد بن سليمان الحمداني، و محمد بن عمار بن محمد الحمداني، و محمد بن محمد ابن علي الحمداني، و المظفر بن علي بن الحسين الحمداني، و ناصر بن ابي طالب علي بن احمد بن حمدان الحمداني، و هبة الله بن حمدان ابن محمد الحمداني، الى غير هؤلاء، و قد ترجم لهم الشيخ محمد الحر العاملي طاب ثراه في «أمل الآمل».

٨. يعني بذلك التشيع ولاء آل محمد صلى الله عليه و آله، و لا أدري لما ذا كان أتباع أهل البيت عليهم السلام في القول و العمل سبيلا لاستحلال الدم و حجة على اباحته، فانا لله و انا اليه راجعون.

٩. كان و لا يزال الهتاف في الاذان بحي على خير العمل من شعار الشيعة. و قد قامت الادلة الصريحة الواردة من طرقهم بانه من فصول الأذان. و يدل عليه ايضا ما في «كنز العمال»، ج.٤، ص.٢٦٦ عن الطبراني قال: كان بلال يؤذن بالصبح فيقول: حي على خير العملو ما في السيرة الحلبية في باب بدء الاذان و مشروعيته، ج.٢، ص.١٠٥، الطبعة الثانية قال: ان ابن عمر و الامام زين العابدين كانا يقولان في الاذان حي على خير العمل. نعم ان عمر بن الخطاب نهى عنه كما ذكره القوشجي و هو من متكلمي الاشاعرة في أواخر مبحث الامامة من شرح التجريد. قال: صعد عمر المنبر و قال: ثلاث كن على عهد رسول صلى الله عليه و آله انا انهي عنهن و احرمهن و اعاقب عليهن. و هي متعة النساء و متعة الحج و حي على خير العمل. و لعل أهل السنة تركوه لذلك كما تركوا المتعتين

١٠. كان صاحب حلب يومئذ عماد الدين زنكي بن مورود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر، كما ذكره ابو الفداء.

١١. كان دخول الايوبي الى حلب عام ٥٧٩.

١٢. و عن نسمة السحر ان الذي بناه سيف الدولة، و ذلك لانه رأى نورا على مكانه و هو بأحد مناظره في حلب، فلما أصبح ركب الى هناك و أمر بالحفر فوجدوا حجرا مكتوبا عليه هذا المحسن بن الحسين بن علي ابن ابي طالب، فجمع العلويين و سألهم، فقال بعضهم: انهم لما مروا بالسبي في حلب طرحت احدى نساء الحسين عليه السّلام بهذا الولد، فعمره سيف الدولة.

١٣. كتب ردا على هذه الفتوى العلامة الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين و هو كتابه «الفصول المهمة» و قد طبع مرتين و لو قرأته لدلك على علم غمر، و تبحر و اطلاع واسعين، و لأوضح لك ظلم ذلك الرجل في فتواه و قتل اولئك المساكين ظلما و عدوانا.

١٤. انظر الفصول المهمة الطبعة الثانية ص ١٤٠. و مجلة العرفان ج ٢ ص ٢٨٦ من مقال للعلامة البحاثة الشيخ احمد رضا عنوانه المتاولة أو الشيعة في جبل عامل.

المصدر: مظفر، محمّد حسين، «تاريخ الشيعة»، بيروت، دار الزهراء، ١٤٠٨هـ.ق.، صص ١٤٤-١٥٢.

إختيار نموذج للأسرة

يتم تنمية البشرية والتدريب من قبل «القوى الراسخة في طبيعة الكمالية للإنسان» وباستخدام «الظروف والمرافق الخارجية».
فمن أجل الصعود إلى قمم التطور والتدريب العالية، **الرغبة في التقليدو الإقتداء** هي أحد من أكثر القوى الطبيعية والداخلية فعالية و **حياة و تجربة الواصلين للكمال** هي أحد الظروف الخارجية.
من وجهة نظر التربوية، فإن وجود نموذج للأسرة يعزز صحة وسرعة العملية التعليمية بين جميع أفراد الأسرة.
لذلك، تبحث العائلات الحية والمتحركة دائما عن نموذج شامل لتبني البصيرة والأخلاق والأساليب الفائقة في وضع المعادلات الأسرية.
تعد الحياة الأسرية للنبي الكريم كأفضل نموذج قرآني، وايضا حياة الأسرية لسيدتنا الزهراءعليها السلام استمرارا للنبي كنموذج تام، من أهم الموارد التعليمية لاختيار نموذج للأسرة.
القدوة في نظام التعليم المهدوي هو وجود الإمام المهديعجل الله فرجه. الإمام الذي هو نموذج كامل وشامل نتج وجوده النقي والمستنير عن اقتداء بالنموذج القرآني الأكثر اكتمالا، أي وجود الرسول الأعظم، والنموذج الإسلامي الأكثر شمولا، أي وجود أمير المؤمنين عليعليه السلام وسيدتناالزهراءعليها السلام والأئمة المعصومينعليهم السلام من جيلهما.
الإمام المهديعجل الله فرجه هو أكثررجاءا و ايماناباالله و اليوم القيامة على وجه الأرض والله تعالى يقدّم حياة رسول الله قدوة حسنة لأهل الرجاء.
«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرا»[1]
من ناحية أخرى، فإن وجود السيدة الزهراءعليها السلام جزء من وجود الرسولصلى الله عليه وآله، وهذا يعني أنها استمرار للنبي في الإقتداء، لدرجة أن الإمام الزمانعجل الله فرجه قدمه نموذجا تاماوجيدا في حياته.
«وفِي ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِصلى الله عليه وآله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.»[2]
والحاصل أن أفضل نموذج في «عقيدة التربوية المهدوية» هو الحياة العلمية والعملية للإمام المهديعجل الله فرجه، في حين أن للإمامعليه السلام النموذج الأكثر اكتمالا وشمولا هو الحياة العلمية والعملية للنبي العظيم وفاطمة الزهراءعليها السلام لذلك، في مجال «اختيار نموذج الأسرة»، يجب البحث عن أفضل النماذج ألا وهو حياة الأسرية النبوي وحياة العائلية الزهراءعليها السلام.[3]

الهوامش:
١. سورة الأحزاب، الآية ٢١.
٢. المجلسي، «بحارالأنوار»، ج ٥٣، ص١٧٨.
٣. مرتضى آقاطهراني، «الأسرة و التربوية المهدوية»، ص ١٥٠.

المصدر: الشبكة المرتجى؛ www.almortaja.com

النصـــارى وفتنة قتل عيسى عليه السلام

مثال آخر يذكره لنا القرآن الكريم امتحن الله به النصارى وبني إسرائيل وهي قضية قتل النبي عيسى عليه السلام، قال تعالى: «**وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِهَ لَهُمْ وَإِنَ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَ اتِباعَ الظَنِ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً.**»[1]

في كلمات المفسرين كال**فخر الرازي** صاحب التفسير الكبير والآلوسي وغيرهما، وحتى مفسري مدرسة أهل البيت عليهم السلام عندما يصلون إلى هذه الآية التي فيها ملاحم معرفية خطيرة جداً فإنهم يتسائلون ماذا يريد أن يسطر لنا القرآن؟ هل يريد أن يقول: «**إن الحس ليس بحجة؟! حيث أن النصارى أو بني إسرائيل بتوسط إدراك الحس والبصر رأوا شبيه النبي عيسى عليه السلام باعتبار أن الله عز وجل جعل شبه النبي عيسى على أحد أنصاره كما في رواية أهل البيت.**»[2]

أو على عدوه يهوذا كما في روايات المدارس الإسلامية الأخرى،[3] أياً ما كان فإن الباري تعالى شبه النبي عيسى عليه السلام على شخصٍ آخر، فقُتِل ذلك الشخص الآخر أمام مرأى وعين اليهود والنصارى.

واليهود هم الذين قاموا بتدبير هذه المؤامرة. قال تعالى: «**فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَ اتَخَذُوا الْعِجْلَ... وَقَوْلِهِمْ إِنَا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِهَ لَهُمْ.**»[4]

القرآن يقول بأن الاعتقاد بقتل النبي عيسى عليه السلام وعدم الاعتقاد بحياة النبي عيسى هذا كفر وضلال.

هذا الامتحان في العقيدة الذي امتحن الله عز وجل به النصارى واليهود مع أنهم استندوا إلى الحس والحس من البديهيات، كما أن الأجيال المتأخرة لليهود والنصارى أيضاً يعتقدون بقتل النبي عيسى عليه السلام وصلبه بحسب ما نقل إليهم بالتواتر، فكيف القرآن يفند التواتر مع أن مستند التواتر هو الحس؟

والمفسرون تبلبلوا هنا تبلبلاً وحارت أفهامهم وأبحاثهم في هذه الآية، ماذا يريد أن يسجل ويسطر لنا القرآن الكريم فيها؟ يعني أن المفسرين الإسلاميين في حالة حيص وبيص في تبيان مفاد هذه الآية، إذ كيف القرآن الكريم يذم ويندد استناد بني إسرائيل والنصارى إلى الحس؟ فلم يعطوا جواباً شافياً عن هذه الأبحاث، وكأنما الآية لا زالت من ضمن الطلسمات في نظام المعرفة أو نظام البصيرة أو نظام المنهج المنطقي الذي يريد أن يسطره وينظمه القرآن الكريم بحيث يدين انحرافاً رئيسياً أساسياً عند النصارى واليهود وكأنه مبتني على نوع من الغموض، وحاشا لله أن يغمض الحجة البالغة.

ولكن المقصود أن هذا الامتحان يحتاج إلى نوع من البصيرة ويحتاج إلى نوع من نفاذ المعرفة ونافذية الادراك، وهذا الجواب موجود في ذيل هذه الآية بحسب روايات أهل البيت عليهم السلام ولو راجع المفسرون من الفريقين النكات المعرفية في روايات أهل البيت في التفسير لرأوا أن الأجوبة موجودة.

فرواية أهل البيت تشير إلى أن الموازنة في الامتحان المعرفي الذي هو من أعظم الامتحانات التي امتحن بها اليهود والنصارى في هذه الواقعة هي أن النبي عيسى عليه السلام قد أتى بالمعجزات والبينات وأخبر اليهود والنصارى أنه باقٍ حي إلى دولة الإمام الثاني عشر عليه السلام وسوف يكون وزيراً من وزرائه ويصلي خلفه. فهو أنبأهم بتوسط إعجاز الوحي والمعجزات التي ظهرت على يديه،

وهم تركوا تلك المعاجز واستمسكوا بالحس، والحس لا ينهض ولا يناهض المعجزة.

فالقرآن يفند الحس إذا كان ينكر ما ثبت بالمعجزة، فتلك الأمم باتباعها الحس كبني إسرائيل وعبادة العجل أو النصارى وشبهة قتل وصلب عيسى عليه السلام وغيرها استندت إلى يقين محدود داني فيه سفل وتركهم لما فيه علو، وهذا افتتان وامتحان ويا له من امتحان وافتتان صعب غامض دقيق. مع أن لله الحجة البالغة دائماً وحججه بينة أبين من الشمس ولكن الإنسان عندما تعتوره الكدورات نتيجة الأعمال والأفكار المنحرفة يقع في اللبس والغموض.

ولا يقال: إن هذا الامتحان باعتباره أعمق من الحس يكون خروجاً عن طاقة البشر، وذلك: لأن الله عز وجل زود الإنسان بقوة العقل وهي قوة جبارة يقدر بمقتضاها تمييز الأبتلاءات الإلهية من مثل هذه الامتحانات الكبيرة.

الفتنة محك البصيرة

يقول منبع البراهين والبينات والدلائل علي بن أبي طالب عليه السلام عن ما جرى في حرب الجمل وصفين والنهروان في إحدى خطبه عليه السلام: «**أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألوني قبل أن تفقدوني.**»[5]

لنفهم ماذا يريد أن يقول عليه السلام.

ولو تأملنا جيداً لعلمنا أنه يقول: إن حرب الجمل أو حرب صفين أو حرب النهروان فتحت فتوحات في بصائر ووعي الأمة الإسلامية وأسست فتوحاً بينةً في وعي الأمة الإسلامية وما كان لغير أميرالمؤمنين عليه السلام ليجترئ على فتح تلك الأبواب العظيمة في البصيرة ووعي الأمة.

ففي حرب الجمل مثلاً كان الطرف الآخر ربما يتوهم أنه يتمتع ببعض الأوصاف القرآنية التي يُحسب أنها تعطيه صلاحيات كبيرة والتي من خلالها يريد أن يوسع أو يؤسس صلاحيات له في مشروع الدين الإسلامي على طول التاريخ، فمَنْ الذي أيقظ في الأمة ذلك الوعي وقال: إن تلك الأوسمة القرآنية ليس لها مؤدى إعطاء الصلاحية لذلك الطرف أبداً؟ وكذلك مواجهة من يرفع شعاراً حقاً لكنه يؤسس لبناء باطل كالخوارج، أو مقاتلة من يتمترس بالانتماء إلى الإسلام لكنه يبغي على ولي الحق كما في صفين. ومن كان يستطيع أن يُوجِدَ ويبني في وعي الأمة مثل هذه البصائر لولا علي عليه السلام، ولولا ما قام به في حرب الجمل، أو حرب صفين أو حرب النهروان، من كشف الاغتشاش والالتباس، والايهام، واللبس، والتشابه الواقع في وعي البشر نتيجة التباس ما ليس بحجة مع ما هو حجة، أي إلتباس ما ربما له درجة من درجات الحجية مع ما له درجة حجية كبيرة.

وكذا الخوارج الجدد _ التكفيريون _ تركوا محكمات القرآن ومحكمات السُنة وضروريات الإسلام وتشبثوا بدلائل ظنية واهية وجعلوها محوراً للدين فأقصوا ما هو محور وتشبثوا بما هو متشابه وبما لا تقوم له قائمة إذ الفرع والرافد لا يمكن أن يكون نهراً كبيراً ولا يمكن أن يكون منبعاً للنهر الكبير وإنما يبقى رافداً وفرعاً.

التوسل بالنبي وآله من الاختبارات في البصيرة

القرآن الكريم يأمرنا بأن نتوسل بالنبي وأهل بيته عليهم السلام قال تعالى: «**وَلَوْ أَنَهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَاباً رَحِيماً.**»[6] لنرى ماذا تقول الآية هل تقول استغفروا أم تشترط شرطاً، نعم هناك شرط «**جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَسُولُ**» فجاءوك باللغة الدارجة تعني: «**دخيلك يا رسول الله**» أي القرآن يقول التجيء، لذ، استعذ بالنبي صلى الله عليه وآله «**وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**»[7] فالرسول وأهل بيته عليهم السلام معاذ، ولواذ، وأمان بصريح الآية، وهذه فريضة عظيمة من فرائض الدين، ومع ذلك فإن الخوارج الجدد يحرمونه ويجحدونه ويكفرون به ويكفرون من عمل به، يقول الله تعالى في وصف المنافقين: «**وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ**»[8] فنرى الدعوة (تَعالَوْا) إلى أين؟ ليلوذوا وليلتجئوا، بمن؟ يقول الله تعالى: **يستغفر لكم الرسول**.

ولكنهم لووا رؤوسهم ويعرضون ويصدون وهم مستكبرون. فهذه آيات بينة على فريضة ومشروعية التوسل، بل الآيات تدلل على ركنية التوسل، ولكن الجاحدين يتشبثون بالمتشابه ضالين مضلين، وقد وصف الخوارج بأنهم كلاب أهل النار لأنهم بلا هداية ولا نور وعدم رؤية منظومة الحجج وعدم ارتسامها عندهم بالشكل الصحيح، فالتوجه والالتجاء للرسول صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام من الامتحانات والاختبارات المهمة في البصيرة يمتحن الله بها الأمة على مدى الأزمان والدهور.

وفاروق هذه الأمة قسيم الجنة والنار عليه السلام فرق بين الحق والباطل فبَين الحق للأمة، فإن واقعة صفين والنهروان رسمت في وعي الأمة أن المسلمين أرادوا أن يفككوا في التمسك بالقرآن الصامت ويتركوا القرآن الناطق، ولكن فاروق الأمة فتح فتحاً مبيناً وبنى وأسس _ ولله الحمد _ في وعي الأمة أن القرآن الكريم ذو مراتب وحجج مترتبة، والتفكيك في التمسك بالقرآن الصامت وترك القرآن الناطق ليس إلا ضلالاً.

فصرف كون الشيء دليلاً لا يكون مبرراً لاتباعه منعزلاً عن بقية الأدلة إلا أن يكون ضمن كتلة ومجموعة دلائل ومراتب تحفظ حقيقة الدليل، فاتباع البعض دون البعض ضلال وانحراف وغواية، واتباع المجموع ضمن المراتب هداية.

يقول صاحب الجواهر: لو أراد فقيه أن يتبع ظواهر العمومات بلا أن يرتب الأدلة كمجموعة واحدة لكانت تلك العمومات تضره وتضله، وهل يفكك أحد من المسلمين في اتباع بعض الكتاب وترك الآخر بعد أن ندد القرآن بالتجزئة والتفكيك، قال تعالى: «**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**»[9] أي لم يجعلوا القرآن كمجموعة وكتلة واحدة.

فلم ينسقوا ولم يناسقوا ولم ينسبوا، ولم يناسبوا، مجموعات الأدلة بعضها مع البعض الآخر لتكون ككيان هرمي منظومي يشرف فيها الحجة والدليل الأقوى على الحجة والدليل الأضعف، قال تعالى: «**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**»[10] فالإيمان بالبعض دون البعض الآخر ضلال عن الحقيقة.

فلو أراد فقيه أن يحكم البعض دون البعض من قواعد الدين وسار على النظرة التجزئية كما ابتليت بذلك هذه الأمة والأمم السابقة لتهدمت أركان الدين، واختل التوازن والتعادل واضطربت القواعد.

الهوامش:

١. سورة النساء، الآية ١٥٧.
٢. راجع: الميرزا محمد المشهدي، «تفسير كنز الدقائق»، ج ٢، ص ٦٧٤، تفسير الآية ١٦٠– ١٦٤ من سورة النساء.
٣. العيني، «عمدة القارئ»، ج ١٢، ص ٣٥، حيث صرح العيني بأن اسم شبيه عيسى يهوذا.
٤. سورة النساء، الآيات ١٥٣ – ١٥٧.
٥. «نهج البلاغة»، ج ١، ص ١٨٢، الخطبة ٩٣.
٦. سورة النساء، الآية ٦٤.
٧. سورة الأنفال، الآية ٣٣.
٨. سورة المنافقون، الآية ٥.
٩. سورة الحجر، الآية ٩١.
١٠. سورة البقرة، الآية ٨٥.

المصدر: الشيخ محمد السند، «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى»، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

علي منتظر القائم

مفهوم الغيبة وأسبابها

ربما حري بنا القول إنه لم يشغل عقول البشر طوال التاريخ موضوع بقدر قيام مصلح عالمي يهدي البشرية إلى السعادة والرفاهية الأبدية وينقذ المظلومين من الظالمين. ومن ثم، فإن الشعوب والأديان المختلفة تنتظر بطريقة ما ظهور رجل خارق يعتبر رمزاً لجميع المثُل البشرية ليملأ العالم ذات يوم بالعدل والقسط.

وفي الوقت نفسه، فإن الاعتقاد السائد بين المسلمين، وخاصة الشيعة منهم، حول انتفاضة المهدي المنتظر عجل الله فرجه وثورته باعتباره المصلح العالمي ومنقذ البشرية، هو أنه يتمتع بسمات مثالية، وجذور عميقة وراسخة ترتكز إلى مدرسة أئمة الدين المعصومين وكلامهم الذي لا يعتريه الشك.

وقد روج العلماء والمفكرون المسلمون على مر القرون لهذا الاعتقاد من خلال اقتباسهم لأحاديث أئمة الدين في مجال ظهور قائم آل محمد عجل الله فرجه:، وانبروا لحماية الفكر المهدوي من شبهات المعارضين في هذا الصدد، وترسيخ الأسس الأيديولوجية لانتظار ظهور المصلح العالمي، فزادوا من رسوخ هذه الفكرة.

١. تقسيم عصر الغيبة

قبل أن ندخل في مناقشة مفهوم غيبة إمام العصر عجل الله فرجه، من الأفضل الإجابة على هذا السؤال: ما سبب تقسيم غيبة الإمام إلى غيبة صغرى وغيبة كبرى، وما هو الفرق بين الاثنين؟ في الأساس، كيف يتم تعيين الحد الزمني الذي يحدد هاتين الغيبتين عن بعضهما البعض؟

ذكرت غيبة إمام الزمان عجل الله فرجه مراراً وتكراراً في رواياتنا، وقبل سنوات من ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ورد أن حضوره سيكون له غيبتان، كل منهما تختلف عن الأخرى. ونشير هنا إلى بعض الروايات الواردة في هذا السياق:

ينقل **الشيخ الطوسي** (٣٨٥-٤٦٠هـ) في «كتاب الغيبة»، حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام يخاطب فيه الإمام أحد أصحابه قائلاً: «**يا حازِمُ إنَّ لِصاحِبِ هذَا الأَمرِ غَيبَتَينِ يَظهَرُ فِي الثّانِيَةِ**»[1] وينقل أمين الإسلام **الطبرسي** (م ٥٤٨هـ) في كتاب «إعلام الورى» حديثاً يخاطب فيه **أبو بصير** الإمام الصادق عليه السلام:

قلت له: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «**لقائم آل محمد صلى الله عليه وآله غيبتان واحدة طويلة و الاخرى قصيرة**»

فقال الإمام عليه السلام لأبي بصير: «**نعَم يا أَبابَصيرٍ إحديهُما أَطوَلُ مِنَ الأُخرى.**»[٢]

محمد بن ابراهيم النعماني (م ٣٦٠هـ) في «كتاب الغيبة»، ينقل رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول عليه السلام:

«**إنَّ لِصاحِبِ هذَا الأَمرِ غَيبَتَينِ إحديهُما تَطُولُ حَتّى يَقُولَ بَعضُهُم: ماتَ وَ بَعضُهُم يَقُولُ قُتِلَ وَ بَعضُهُم يَقُولُ: ذَهَبَ....**»[٣]

بعد ذكر تسعة أحاديث لها نفس محتوى الحديث أعلاه، يقول النعماني:

هذه الأحاديث التي يذكر فيها أن للقائم صلى الله عليه وآله غيبتين أحاديث قد صحت عندنا بحمد الله و أوضح الله قول الأئمة عليهم السلام.[٤]

واستكمالاً لكلامه عرّف الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى:

فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام صلى الله عليه وآله و بين الخلق قياما منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص و الأعيان يخرج على أيديهم غوامض العلم و عويص الحكم و الأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات و المشكلات وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها و تصرمت مدتها و الغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء و الوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى.[٥]

الآن وبعد أن تعرفنا على أمثلة من كلام الأئمة الأطهار عليهم السلام في الغيبة الصغرى والكبرى، فمن الأفضل أن نجيب على هذا السؤال: من حيث الوقت، كيف نفرق الغيبتين عن بعضهما البعض؟

لا يختلف علماء الشيعة عن بعضهم البعض حول وقت انتهاء الغيبة الصغرى، ولكن هناك اختلاف بينهم في بداية الغيبة الصغرى. يعتقد البعض أن هذه الغيبة بدأت مع ولادة إمام الزمان عجل الله فرجه ويعتقد آخرون أنها بدأت بوفاة والده الكريم الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

يقول **الشيخ المفيد** (٤١٣هـ) في كتابه «الإرشاد»:

فَأَمَّا الْقُصْرَى مِنْهُمَا فَمُنْذُ وَقْتِ مَوْلِدِهِ إِلَى انْقِطَاعِ السِّفَارَةِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ شِيعَتِهِ وَ عَدَمِ السُّفَرَاءِ بِالْوَفَاةِ وَ أَمَّا الطُّولَى فَهِيَ بَعْدَ الْأُولَى وَ فِي آخِرِهَا يَقُومُ بِالسَّيْفِ.[٦]

ويقبل الطبرسي (٥٤٨هـ) في كتاب إعلام الورى هذا القول واعتبر أن مدة الغيبة الصغرى ٧٤ عاماً،[٧] أي منذ عام ٢٥٥هـ، (سنة ولادة إمام الزمان عجل الله فرجه) حتى ٣٢٩هـ، (سنة وفاة آخر النواب الخواص له عليه السلام).

وحسب بعض كبار الفقهاء والمحدثين الشيعة، وكثير من المؤرخين، فإن بداية الغيبة الصغرى من وقت ولادة حضرة المهدي المنتظر عجل الله فرجه، بينما يرى فريق آخر أن بداية الغيبة الصغرى كانت عام ٢٦٠هـ؛ أي أنهم أخذوا سنة وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعين الاعتبار، مما يعني أن مدة الغيبة الصغرى تقارب من ٦٩ عاماً.

حاول مؤلف كتاب «تاريخ الغيبة الصغرى» في كتابه «دحض النظرية» القائلة بأن مبدأ الغيبة هو ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه وإثبات أن بداية الغيبة الصغرى كانت في الواقع من وقت وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام. نلخص هنا استدلاله في هذه القضية ونترك المزيد من البحث في هذا المجال لفرصة أخرى.

وخلاصة استدلاله في هذا الصدد: تم تعيين أربعة نواب كوسطاء بين الإمام المهدي عجل الله فرجه وشيعته بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ومن ناحية أخرى، فإن الفارق الرئيسي بين وقت الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى هو وجود هؤلاء النواب والوسطاء أنفسهم فقط أثناء عصر الغيبة الصغرى والذين كانوا مسؤولين عن إيصال رسائل حضرة صاحب الزمان عجل الله فرجه، وبعد ذلك انقطع تواصله بالناس تماماً. لذلك يجب أن نقول إن الغيبة الصغرى تبدأ منذ وقت وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وتعيين النائب الأول من الخواص.[٨]

نستنتج مما تقدم ذكره حتى الآن أن الغيبة الكبرى عي الفترة الزمنية التي بدأت عام ٣٢٩ هـ. ق؛ أي سنة وفاة آخر سفير ونائب خاص للإمام المهدي عجل الله فرجه، وهو **أبو الحسن علي بن محمد السمري**، وتنتهي هذه الغيبة في اليوم الذي يبدأ فيه المهدي الموعود عجل الله فرجه قيامه بأمر الحق تعالى.

٢. فلسفة الغيبة ذات المرحلتين

ومن الأسئلة التي أثيرت حول غياب إمام الزمان عجل الله فرجه سبب غيبته مرتين: الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى. لماذا لم تبدأ الغيبة الكبرى منذ البداية بل بعد فترة الغيبة الصغرى التي استمرت سبعين عاماً؟ للإجابة على هذا السؤال ينبغي القول: تنبأت الروايات بغيبة الإمام المعصوم الأخير، ولكن عندما استشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، لم يستطع الشيعة بسهولة قبول الغياب التام للإمام عن المجتمع، بسبب ٢٥٠ عاماً شهدت وجود أحد عشر إماماً في المجتمع. لهذا السبب بقي بعض الشيعة مرتبكين لبعض الوقت بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام.

لذلك كان من الضروري أن تستمر علاقة الإمام مع الناس لبعض الوقت قبل بداية الغيبة الكبرى والانفصال التام للإمام عن المجتمع، حتى يكون الناس مستعدين تدريجياً لقبول الغيبة الكبرى، ويراجعون الفقهاء بصفتهم النواب العوام لإمام الزمان عجل الله فرجه

بعبارة أخرى، كانت فترة الغيبة الصغرى هي فترة استعداد للشيعة لدخول فترة الغيبة الكبرى. في هذه الفترة تلاشت تدريجياً جميع الطوائف المتفرقة التي نشأت بعد استشهاد الإمام الحادي عشر عليه السلام فيما يتعلق بخلافته، وتوصل الشيعة إلى الوحدة والتوافق على اتباع ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام باعتباره الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه.

يقول الشيخ المفيد بعد أن نقل خبراً عن **حسن النوبختي** مؤلف كتاب «فرق الشيعة» عن طوائف المذاهب الأربعة عشر التي ظهرت بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقول:

من هؤلاء الفِرَقِ التي ذكرناها فرقة موجودة في زماننا هذا و هو من سنة ثلاث و سبعين و ثلاثمائة إلا الإمامية الاثنا عشرية القائلة بإمامة ابن الحسن صلى الله عليه وآله المسمى باسم رسول الله صلى الله عليه وآله القاطعة على حياته و بقائه إلى وقت قيامه بالسيف.[٩]

وتجدر الإشارة إلى أن تهيئة الناس لدخول فترة الغيبة قد بدأت قبل سنوات من غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه أي منذ عهد الإمامين الهادي عليه السلام والعسكري عليه السلام. فقد قلص هؤلاء الأئمة الكرام علاقتهم بالناس تدريجياً وأحالوها إلى الفقهاء والمحدثين الشيعة الذين تواجدوا في المراكز الشيعية مثل «قم» في مختلف الأمور العقائدية والفقهية، حتى اعتاد الناس تدريجياً على هذه الممارسة[١٠].

يكتب **علي بن حسين المسعودي**، أحد كبار مؤرخي التاريخ الإسلامي، في هذا السياق:

وَ رُوِيَ: أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام صَاحِبَ الْعَسْكَرِ احْتَجَبَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الشِّيعَةِ إِلَّا عَنْ عَدَدٍ يَسِيرٍ مِنْ خَوَاصِّهِ فَلَمَّا أُفْضِيَ الْأَمْرُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام كَانَ يُكَلِّمُ شِيعَتَهُ الْخَوَاصَّ وَ غَيْرَهُمْ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ إِلَّا فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَرْكَبُ فِيهَا إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ وَ إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مِنْهُ وَ مِنْ أَبِيهِ قَبْلَهُ مُقَدِّمَةً لِغَيْبَةِ صَاحِبِ الزَّمَانِ لِتَأْلَفَ الشِّيعَةُ ذَلِكَ وَ لَا تُنْكِرَ الْغَيْبَةَ.[١١]

كما نُقل عن الإمام المهدي عجل الله فرجه قوله إنه أوضح تهيئة الناس لدخول فترة الغيبة الكبرى، وبتعيين الفقهاء مرجعية للناس في كل أحداث المجتمع الإسلامي، فقد حال دون حيرتهم في هذه الفترة. يقول عجل الله فرجه في توقيع أرسله إلى **إسحاق بن يعقوب**:

«**وَ أَمَّا الْحَوادِثُ الْواقِعَةُ فَارْجِعُوا فيها إلى رُواةِ حَديثِنا فَإِنَّهُمْ حُجَّتي عَلَيْكُمْ وَ أَنا حُجَّةُ اللهِ عَلَيْهِم.**»[١٢]

وبحسب ما تقدم ذكره، تتضح ضرورة وجود فترة غيبة صغرى لإعداد الناس لدخول فترة الغيبة الكبرى.

٣. مفهوم الغيبة

وبحسب روايات غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، يمكن القول إن هناك طريقتين محتملتين لغيبته عجل الله فرجه:[١٣]

أ) اختفاء الإمام

الشكل الأول هو الشكل الموجود تقليدياً في أذهان الناس فيما يتعلق بغيابه عجل الله فرجه؛ يعني أن الإمام المهدي عجل الله فرجه بعيد عن الناس جسدياً، ورغم أنه يرى الناس في هذه الفترة ويتابع شؤونهم، لكن لا أحد يستطيع رؤيته.

يروي النعماني أربع روايات في كتاب الغيبة، وكلها تعبر عن الشكل الأول. ومن هذه الروايات الأربع رواية الإمام الصادق عليه السلام:

«**يُفْقِدُ النّاسُ إمامَهُم، يَشهَدُ المَواسِمَ فَيَراهُمْ وَ لايَرَونَهُ.**»[١٤]

كما يروي **الشيخ الصدوق** في كتاب «كمال الدين» أن الإمام الرضا عليه السلام قال رداً على من سأله عن قائم آل محمد صلى الله عليه وآله: «**لايُرى جِسْمُهُ، وَ لايُسَمّى بِاسْمِه.**»[١٥]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«**إنَّ حُجَّتَهَا عَلَيها قائِمَةٌ، ماشِيةٌ في طَرَقِها، داخِلَةٌ في دُورِها وَ قُصُورِها، جَوّالَةٌ في شَرقِ هذَا الأَرضِ وَ غَربِها، تَسمَعُ الكَلامَ وَ تُسَلِّمُ عَلَى الجَماعَةِ تَرى وَ لاتُرى إلى الوَقفِ وَ الوَعدِ وَ نِداءِ المُنادِي مِنَ السَّماءِ أَلا ذلِكَ يَومٌ فيهِ سُرورُ وُلدِ عَلِيٍّ وَ شيعَتِهِ.**»[١٦]

خلاصة الروايات السابقة هي أنه في عصر الغيبة وبسبب الظروف التي سنذكرها لاحقاً، فقد غاب إمام العصر عجل الله فرجه تماماً عن أعين الناس، ولم يظهر إلا في حالات قليلة جداً أمام عباد الله الصالحين.

ب) إخفاء هوية الإمام

الشكل الثاني الذي يمكن تصوره لغيبة حضرة صاحب الزمان عجل الله فرجه هو أنه بالرغم من تواجده بين المسلمين أثناء عصر الغيبة وتفاعله معهم، لكن لا أحد يعلم أنه إمام الزمان عجل الله فرجه ولا يمكن لأحد أن يكتشف هويته الحقيقية. ووفقاً لهذا الافتراض، سيكون الإمام المهدي عجل الله فرجه حاضراً في أي مدينة ومكان يريده ويعيش مثل الآخرين، لكن لن يدرك أحد حقيقة وضعه.

وهناك روايات يمكن الاستفادة منها للدلالة على الشكل الثاني، والتي ينبغي أن نشير من بينها إلى رواية نقلها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن النائب الخاص الثاني لحضرته، أي **محمد بن عثمان العمري**:

وَ اللهِ إنَّ صاحِبَ هذَا الأَمرِ لَيَحضُرُ المَوسِمَ كُلَّ سَنَةٍ، يَرَى النّاسَ وَ يَعرِفُهُم وَ يَرَونَهُ وَ لايَعرِفُونَهُ.[١٧]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام حول غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه:

«فَما تُنْكِرُ هذِهِ الأُمَّةُ أَن كُونَ اللهِ يَفعَلُ بِحُجَّتِه ما فَعَلَ بِيُوسُفَ وَ أَن يَكُونَ صاحِبُكُم المَظلُومُ المَحجُورُ حَقَّهُ صاحبُ هذَا الأَمرِ يَتَرَدَّدُ بَينَهُم وَ يَمْشِي في أَسواقِهِم وَ يَطَاءُ فُرُشَهُم وَ لايَعرِفُونَهُ حَتّى يأذَنَ اللهُ أنيَعرِفَهُم نَفسَهُ كَما أَذِنَ لِيُوسُفَ حينَ قالَ لَهُ اِخوَتُهُ: «أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قالَ اَنَا يُوسُفُ.»[18و19]

ووفق هذه الفرضية، من أجل حماية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من شر أعدائه، لا يشترط أن يكون بعيداً مادياً عن المجتمع ومختفياً عن الجمهور، لكن يكفي أن يجهل الناس مكانه وشخصيته وتبقى هويته مخفية عنهم. ولعل هذا هو سبب طلب الأئمة عليهم السلام من الناس التستر على اسم ولقب المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وعدم السعي إلى التعرف عليه. وجاء في التوقيع الذي أرسله إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف **لمحمد بن عثمان**، النائب الخاص، رداً على من سعى إلى معرفة اسمه ولقبه:

إِمَّا السُّكُوتَ وَ الجَنَّةَ وَ إِمَّا الكَلامَ وَ النّارَ، فَإِنَّهُم إِن وَقَفُوا عَلَى الإِسمِ أَزاعُوهُ، وَ إِن وَقَفُوا عَلَى المَكانِ دَلّوا عَلَيهِ.[20]

من هذا التوقيع، يمكننا استنتاج أنه من خلال إخفاء اسمه ولقبه وموقعه، يمكن أن يكون حضرته في مأمن بسهولة من الأعداء. وفي هذه الحالة لا داعي لأن يكون عجل الله تعالى فرجه الشريف بعيداً جسدياً عن الأنظار.

وما يؤكد المعنى الثاني هو كلام من رأوه عليه السلام أثناء الغيبة الكبرى ووصفوا حالات مختلفة من حضوره. وكما يتضح من كلامهم، كان الإمام مهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يلقاهم أحياناً في موسم الحج وهو يرتدي ملابس الإحرام مثل باقي الحجاج، وتارة في ملابس التجار والمظهر الخاص بهم، وتارة على شكل عربي بدوي عادي يدل الضائعين في الصحاري على الطريق الصحيح. تشير هذه القضية إلى أن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قد أخفى هويته الحقيقية عن الزوار باختيار هويات مختلفة ومعظمهم لم ينجح في التعرف عليه للوهلة الأولى. ولم يدركوا الهوية الحقيقية للشخص الذي قابلوه إلا بعد مغادرته.[21]

الهوامش:

١. الطوسي، «الغيبة»، ص ٤٢٤.
٢. الطبرسي، «إعلام الورى بأعلام الهدى»، ج ٢، ص ٢٥٩.
٣. الطوسي، «الغيبة»، صص ١٧١ و ١٧٢.
٤. الطوسي، «الغيبة»، صص ١٧٣ و ١٧٤.
٥. الطوسي، «الغيبة».
٦. المفيد، «الإرشاد»، ج ٢، ص ٣٤٠.
٧. الطبرسي، «إعلام الورى بأعلام الهدى»، ج ٢، ص ٢٥٩ .
٨. مسعود بورسيد آقايي وآخرون، «تاريخ الغيبة الصغرى»، صص ٣٤١ وما بعد.
٩. المفيد، «الفصول المختارة»، الطبع الاول: قم، دار المفيد، ١٤١٣، ص ٣٢١.
١٠. لمزيد من المعلومات في هذا المجال، انظر: مسعود بورسيد آقايي وآخرون، «تاريخ عصر الغيبة»، الطبع الثاني: قم، حضور، ١٣٨٣، صص ١٦٤-١٧١
١١. علي بن حسين المسعودي، «إثبات الوصيّة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام »، الطبع الاول: قم، مؤسسة أنصاريان، ١٤١٧هـ، ص ٢٧٢.
١٢. الصدوق، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، ص ٤٨٣، ح ٤٤
الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٢٩١.
١٣. السيد محمد الصدر، «تاريخ الغيبة الكبرى»، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٣٩٥هـ، صص٣١ . ٣٦.
١٤. النعماني، «الغيبة»، ص١٧٥؛ الشيخ المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، باب ٣٣، ص ٣٤٦، ح ٣٣.
١٥.المفيد، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، باب ٥٦، ص ٦٤٨، ح ٢.
١٦. النعماني، «الغيبة»، ص ١٤.
١٧. الطوسي، «الغيبة»، ص ٣٦٤.
١٨. سورة يوسف (١٢)، آية ٩٠ و ٩٠.
١٩. النعماني، «الغيبة»، ص١٦٤؛ المفيد، «الكافي»، ج ١، صص ٣٣٦ و ٣٣٧، ح ٤.
٢٠. الطوسي، «الغيبة»، ص٣٦٤.
٢١. انظر: الطوسي، «الغيبة»، صص ١٥٦، ١٦٤، ١٨١ و ٢٥٨؛ انظر: حسين بن محمد تقي (المحدث النوري)، «النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف»، تحقيق: صادق برزكر، الطبع الاول: قم، مسجد جمكران المقدس، ٢٠٠٥ م، ج ٢، صص ٤٤٥-٨٤٩.

المصدر: شفيعي سروستاني،معرفه الامام الزمان و واجب المنتظرين،باب الاول، فصل الخامس،صص. ٨٠-١٠٧.

المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مؤسّس دولة الحق و آخر الدول

إسماعيل شفيعي سروستاني

ولكل دولة صاحب ومرجع وأن تداول الدول والحكم بين الناس، هو من السنن الإلهية الثابتة؛ بحيث قال تعالى:

«وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمين»[1]

وبالأحرى، فان هناك تداول الدول والابتلاء والامتحان و«سنة قياس المتبجح» لكي يتم في خضم مجئ ورحيل الدول وأنظمة الحكم، فصل الصفوف وتحديد من هم أصحاب الإيمان الثابتين والراسخين؛ مثلما أن الله تعالى، لم يعف أي انسان من الابتلاء والامتحان؛ حتى الأنبياء العظام.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة: عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ» قال عليه السلام: **«ما زال مذ خلق الله آدم دولة لله ودولة لإبليس، فأين دولة الله أما هو إلا قائم واحد.»**[2]

إن تأسيس دولة الحق، يأتي بعد تجربة جميع دول المتبجحين والمدعين. إن السببين المتمثلين في وجود المتبجح والمدعي وكذلك إذن ورخصة الله تعالى، أديا إلى إرجاء هذه الدولة. إن انحصار دولة الحق بيد رجل من ذرية الرسالة والإمامة، مؤشر على تلوث وتدنس جميع الدول القائمة والتي تم تداولها بين الناس منذ اليوم الأول من الخلق وحتى يوم الظهور. إن امتزاج الحق والباطل، هو أقل تصور عن الدول التي كانت قائمة في جميع العصور والدهور؛ بحيث قال الإمام الباقر عليه السلام: «عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«دولتنا آخر الدّول ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملّكوا قبلنا لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملّكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عزّ وجل: «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»[3]

وتعلن هذه الرواية أن تأسيس دولة الحق يقتصر على ذرية الوحي، وترى أن الشرط اللازم لذلك، يكمن في التواصل بلا وسيط مع حضرة الحق، وتقول ان سر عجز الاخرين عن إقامة دولة العدل والحق، يعود إلى عدم تواصل المدعين ونسبتهم بحقيقة العدل؛ ومن جهة أخرى، تعتبر الأية الكريمة «**الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**»[٤] أن دولة الحق تضع نهاية لمجئ ورحيل الدول على الأرض.

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام في تفسير الآية الكريمة «**جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلِ**»:[٥] «**إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل.**»[٦]

وبالأحرى، فان كلام المعصوم عليه السلام، يعلن خلود وبقاء دولة الحق إلى الأبد وإلى قيام الساعة؛ لان جميع المتشدقين، يكونون قد أظهروا واستعرضوا ذاتهم إلى ما قبل ذلك، ومع موت مؤسس جولة الباطل أي الشيطان، يزول معه مجال جولان الأغيار.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**دولته آخر الدّول وخير الدّول.**»[٧]

وقال الإمام في رواية أخرى: «**ليس بعد دولة القائم لأحد دولة...**»[٨]

إن كون الإمام قائما بين أهل البيت عليهم السلام، كما أن النبي آدم عليه السلام قام في فجر الخليقة، وفي أول لمحة بصر بالنظر إلى ذرية الوحي وإليه في العرش، معطوف على مقام الإمام ومهمته في حمل الراية المحمدية وتأسيس الدولة الأحمدية في آخر الزمان وإثمار حكمة خلق الكون في مجال جعل خليفة الله في الوجود والكون.

وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه: «**يظهر [عند ذلك] صاحب الراية المحمّدية والدولة الأحمدية القائم بالسيف الحال الصادق فى المقال يمهد الأرض ويحيي السنّة والفرض...**»[٩]

ويظهر صاحب الراية المحمدية والدولة الأحمدية، حضرة خليفة الله وولي الله الأعظم صلى الله عليه وآله؛ بملك أعظم من ملك النبي سليمان عليه السلام، وسلطان أعظم من سلطانه.

«**إنّ ملكنا أعظم من ملك سليمان بن داود و سلطاننا أعظم من سلطانه...**»[١٠]

عودة محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله في هيئة محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله

وقد وردت العبارة والخطاب السماوي «رحمة للعالمين» بشأن شخصيتين كبيرتين من بين الأنبياء والأوصياء.

«**وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِين**»[١١]

إن هذه الآية المباركة أزالت الانحصار العرقي والقبلي والانحصار الزمني والمكاني عن مهمة ورسالة خاتم الأنبياء.

وثمة الكثير من الأنبياء باوصاف عديدة ومهام مختلفة تختلف حسب اختلاف الظروف التاريخية والزمانية والمكانية، ورغم أن كلا منهم، أسهم تكوينا في نشر وتعميم الرحمة الإلهية على الشعوب، بيد أن النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله اعتبر المظهر التام والأتم والمثل الأعلى لاسم الرحمة. إن وصف النبي الأعظم، ليس شكليا واعتباريا؛ بل يحكي حقيقة وجود ذلك المختار الإلهي.

وقد قال النبي الأكرم في الكشف عن حقيقة وجوده وملته:

«**أنا أفضل النّبين قدرا وأعمّهم خطرا وأوضحهم خبرا وأعلاهم مستقرا وأكرمهم أمّة وأجزلهم رحمة وأحفظهم ذمّة وأزكاهم ملّة.**»[١٢]

وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي الكريم صلى الله عليه وآله:

«**اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضّياء وذؤابة العلياء وسرّة البطحاء ومصابيح الظّلمة وينابيع الحكمة. طبيب دوّار بطبّه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمى وآذان صمّ وألسنة بكم متتبّع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة...**»[١٣]

إن هذه الأوصاف هي بمنزلة شرح وبسط الآية المباركة «رحمة للعالمين» في «القرآن الكريم» حول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

إن عدم الكلل والملل في العطاء، والشفاء والمراهم، ووهب الحكمة والعلم والمعرفة وتبديد كل الظلمات عن وجه الأرض وساحات روح الانسان، هي من الخصائص الذاتية لنبي الرحمة والمصطفى. إنه بعث بكتاب ودين متكامل، وأقرب كائن من الأولين والآخرين إلى ذات البارئ عز وجل، ومضى حتى مقام «**قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى**».[١٤]

إنه أول صفحة من الدفتر الضخم للدين الخاتم، وآخر صفحته، آخر وصي له. اسمه نفس اسمه وكنيته نفس كنيته، مهدي فاطمة، مؤسس دولة الحق والموصوف بصفة رحمة للعالمين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصف الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف:

«**المهدىّ من ولدى اسمه اسمى و كنيته كنيتى أشبه النّاس بى خلقاً وخلقاً تكون به غيبة وحيرة تضلّ فيها الأمم ثمّ يقبل كالشّهاب الثّاقب يملؤها عدلًا وقسطاً كما ملئت جوراً و ظلماً.**»[١٥]

كما نقل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله:

«**القائم من ولدى اسمه اسمى وكنيته كنيتى وشمائله شمائلى وسنّته سنّتى يقيم النّاس على ملّتى وشريعتى ويدعوهم إلى كتاب ربّى عزّ وجلّ من أطاعه فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى ومن أنكره فى غيبته فقد أنكرنى ومن كذّبه فقد كذّبنى ومن صدّقه فقد صدّقنى.**»[١٦]

وكأن محمد صلى الله عليه وآله ذاته، حضرة رحمة للعالمين يظهر مرة أخرى في آخر الزمان في هيئة ابنه المهدي عجل الله فرجه الشريف.

«**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ وَالْعِلْمُ الْمَصْبُوبُ وَالْغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَة.**»[١٧]

وعن ليث بن طاوس قال:

«**المهدى جواد بالمال رحيم بالمساكين شديد على العمّال.**»[١٨]

وحسب وصف «حديث اللوح» المهدى إلى فاطمة الزهراء عليها السلام عند ولادة الإمام الحسين عليه السلام:

«... **وأكمل ذلك بابنه محمد رحمةً للعالمين...**»[١٩]

الهوامش:

١. سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

٢. العيّاشي، محمّد بن مسعود، «تفسير العيّاشي»، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ .ق.، ج ١، ص ١٩٩.

٣. الطوسي، محمّد بن الحسن، «الغيبة»، كتاب الغيبة للحجة، قم، دار المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .ق.، صص ٤٧٢-٤٧٣.

٤. سورة الأعراف، الآية ١٢٨؛ سورة هود، الآية ٤٩؛ سورة القصص، الآية ٨٣؛ سورة طه، الآية ١٣٢.

٥. سورة الاسراء، الآية ٨١.

٦. الكليني، محمّد بن يعقوب، «الكافي»، ج ٨، ص ٢٨٧، ح ٤٣٢.

٧. سليمان، كامل، «يوم الخلاص في ظل القائم المهدي عجل الله فرجه الشريف»، ج ١، ص ٣٤٣.

٨. المفيد، محمّد بن محمّد، «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، ج ٢، ص ٣٨٧.

٩. اليزدي الحائري، علي، «إلزام الناصب فى إثبات الحجة الغائب عجل الله فرجه الشريف» بيروت، مؤسّسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .ق.، ج ٢، ص ١٩٧؛ القندوزي، سليمان بن ابراهيم، «ينابيع المودّة لذوي القربى»، قم، مؤسسة الأوقاف والشؤون الخيرية، دار الأسوة للطباعة والنشر، ج ٣، ص ٢٠٨.

١٠. استرآبادي، علي، «تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة»، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .ق.، ص ١٦٩.

١١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

١٢. أبو معاش، سعيد، «علي أمير المومنين عليه السلام نفس الرسول الامين صلى الله عليه وآله»، بيروت، الأميرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ .ق.، ج ١، ص ٧١.

١٣. «نهج البلاغة» (صبحي صالح)، الخطبة ١٠٨.

١٤. سورة النجم، الآية ٩.

١٥. ابن بابويه، محمّد بن علي، «كمال الدّين وتمام النعمة»، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ .ق.، ج ١، ص ٢٨٦.

١٦. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١١.

١٧. من «زيارة آل ياسين».

١٨. الطبري آملي، «بشارالمصطفى المرتضى»، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ .ق.، ص ٢٠٧.

١٩. الكليني، محمّد بن يعقوب، «الكافي»، ج ١، ص ٥٢٨.

المصدر: شفيعى سروستانى، إسماعيل، «اليوتوبيا والديستوبيا، والدولة المهدوية الكريمة، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.، صص ١٠٣-١٠٦.

علاقة البداء بعلامات الظهور القسم الثاني

د. محمدامين كورانى

الحتم و البداء

لشرح و توضيح حالات الحتم والبداء بالادلة نذكر هذه الرواية التى وردت عن ابى‌عبدالله عليه السلام عندما سئل: **هل يبدو لله فى المحتوم؟** قال: «**نعم. قلنا له فنخاف ان يبدولله فى القائم فقال: ان القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد.**»[1]

وشرح ذلک يكون فضمن السياق الاتى: حيث أن اليمانى و السفيانى لا يقع فيها البداء الذاتى ولكنه يمكن أن يكون فيه البداء الزمانى تحقيقا لرواية الامام الصادق عليه السلام، هنا يكون البداء فى المحتوم زمانياً فقط وبذلک يمكن تغيير زمان حدوث قيام اليمانى و السفيانى بتاجيله مثلا لعام او اكثر حسب المصلحة فى التخطيط الالهى لقضية الامام المهدى عجل الله فرجه.

فبذلک نستطيع القول بإمكانة حدوث البداء الزمانى لا الذاتى ولكن لو تحققت علامتى اليمانى و السفيانى فى القيام فهنا سيكون لزاما تحقق الصيحة فى شهر رمضان وقتل النفس الزكية حيث تكون من ضمن الحتم الزمانى والذاتى ولا وجود للبداء فيها بسبب تحقق اليمانى والسفيانى.

فلأجله يكون التكامل فى خطة ظهور الامر المقدس للامام المهدى عجل الله فرجه وقيامه فى مكة.

اما المحتوم الموعود فهو الذى لايقع فيه البداء ذاتا و زمانا و مصداق وذلک لانه من الميعاد كما جاء فى الرواية السابقة الذكر عن الامام الصادق عليه السلام: «.. **قلنا له: فنخاف أن يبدو الله فى القائم، فقال: أن القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد.**»

اما المحتوم غير الموعود فهو ايضا محتوم ولكنه ليس من الميعاد الذى وعدالله به فهو يتعرض إلى البداء الزمانى كالسفيانى او البداء فى المصداق ک اختلاف دولة بنى العباس، وقد ورد عن ابى حمزة الثمالى قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: «**خروج السفيانى من المحتوم؟.. إلى أن قال– وطلوع الشمس من المحتوم و اختلاف بنى العباس فى الدولة من المحتوم.**»[2]

العلامات الحتمية و غير الحتمية

من بين علامات الظهور علامات واضحة حيث أطلق عليها علائم الظهور الحتمية، و المقصود من هذه التسمية هى مقابل ما يطلق عليه علائم الظهور غير الحتمية، فالعلائم الحتمية تلک العلامات التى ستتحق دون أى قيد، وحدوثها ضرورية لابد منها حيث أن ظهور الإمام مقترن بوقوع تلک العلامات.

والجدير للذكر أن حتمية وقطعية حدوث هذه العلائم لاتدل على أن عدم وقوعها مستحيلة، بل إذا توفرت الشروط والمقتضيات وعدم وجود مانع فى تحققها ستكون مجزومةالحدوث بإذن الله تعالى.

يستفاد من الروايات المتعدة والصحيحة المتوفرة فى المصادر يستنتج

منها علائم خمسة حتمية من علامات الظهور مرت فى سياق البحث، وهى: خروج السفيانى، وخروج اليمانى، و الصيحة بين السماء و الأرض وقتل نفس الزكية، والخسف بالبيداء فى مقابل هذه العلائم الحتمية هناک علائم غير حتمية، إى أنها علائم تحققها مشروطة بقيود و شروط بعبارة أخرى، أن الامام يظهر ولكن ظهوره عجل الله فرجه ليس منوطاً بها، فهذه العلائم قد تتحق أو لاتتحقق.

من العلامات غير الحتمية عند ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه كثرة الموت الفجاة، الزلازل، كثرة الحروب والفوضى الخسوف والكسوف، كثرة الأمطار.. الخ.. .

العلامات المتصلة بالظهور و غير متصلة بالظهور

استناداً على الروايات التى تتحدث عن علائم الظهور يكشف أن هناک علائم متصلة بالظهور، وليست هناک فاصلة زمينية بينها و بين ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه، وإن لم تحدد المدة أو الفترة لكن ما يفهم منها أن تلک العلائم ستتحقق فى نفس سنة ظهور الإمام أو قبلها بسنة وبنائا عل ما ورد فى المصادر أنه مما لا ريب فيه أن من علائم الظهور علامات تحدث قبل الظهور أو متصلة به و فى مقابل هذه العلائم التى توصف بالمتصلة هناک علامات غير متصلة، وهى تحدث خلال الغيبة الكبرى.

العلائم غير العادية

إن حدوث علائم الظهور هو كحدوث بقية الظواهر الطبيعية تابعة لنظامها فى الكون، لكن بعض الروايات تحدثت عن وقوع بعض هذه العلائم بصورة غير طبيعية حتى أن من يسمع بها يتصور أنّ وقوعها يتوقف عل إعجاز خارق للعادة، فعلى نحو المثال: طلوع الشمس من المغرب أو الصيحة التى تسمه فى السماء، فإن ما يفهم من ظاهرهما أنها لا تحقق إلا على الطريق الاعجاز، وحدوثهما عن مجراها الطبيعى قضية غير معتادة، نعم، لعل بعض العلامات لها معنى كنائية و أنها غير صريحة و تشير إلى قضايا لاتحدث بمجراها الطبيعى.

الجدير للذكر أن هناک احاديث كثيرة وردت فى كتب الحديث والروايات عن علائم الظهور، ولكن بما أن سند أغلب هذه الروايات ضعيف، فلا يعول عليها، ومن ناحية الدلالة فهى غير منسجمة أيضاً منهج قراءة علامات الظهور فى الاخبار السياسية والعسكرية المتسارعة التى تمر على العالم الاسلامى، يتساءل كثير من المومنين عن علاقة هذا الحدث أو ذاک الخبر بعلامات ظهور الإمام المهدى المنتظر عجل الله فرجه، فقد مل الناس من الظلم وضجروا من الجور فكثر تطلعهم للبحث عن المنقذ و المخلص وزاد اهتمامهم بالقضية المهدوية وصب تركيزهم للبحث عن إرهاصات اليوم الموعود لعلهم يجدون اشارة او بصيص أمل لقرب الفرج...

مما يتطلب من المومنين التحلى بمزيد من الوعى الثقافى والفكرى ليساعدهم على فهم واستيعاب الروايات الشريفة الخاصة بالملاحم و الفتن، بالاضافة للتاكيد على مجموعة من الثوابت التى يجب مراعاتها عند قراءة علامات الظهور وملامح الفرج، و هى كالتالى:

أولاً:

معرفة العلامات وتقسيماتها: لابد من معرفة أن علامات الظهور تعنى تلک الاخبار او الحوادث التى ستقع فى المستقبل وتكون مؤشرة على الظهور وقد اخبر بها الرسول صلى الله عليه وآله او اهل‌بيته عليهم السلام... اذاً نحن نتعامل مع روايات صادرة عن المعصومين عليهم السلام، فيجب أن يكون التعامل ذات صفة شرعية و علمية ونبتعد عن الهوى والمزاجية والسطحية عند قراءتنا لروايات الملاحم والفتن يجب مراعاة التقسيمات التالية:

_ لابد أن نفرق بين علامات فيام الساعة وبين علامات ظهور الإمام المهدى عجل الله فرجه حتى لايلتبس علينا الامر ونصاب بسوء فهم عند قراءتنا او اطلاعنا على الروايات الشريفة التى تتحدث عن اخبار المستقبل و آخرالزمان.

_ لابد من معرفة علامات الظهور (المحتومة) والتى لابد وان تقع والتى لا يتدخل البداء فى كلياتها ولها الكثير من الارتباط بالظهور وتكون مقارنة له كما سبق وذكرناها...

ثانياً:

إدراک الابعاد التربوية للعلامات: ليس المطلوب من المعصومين عليهم السلام أن يذكرواكل خبر سيحدث فى المستقبل ويشيرون اليه فى روايتهم الشريفة أو ربطه بالقضية المهدوية، بل نجدهم عليهم السلام يختارون من الاحداث والاخبار المستقبلية مافيه مصلحة من اذاعتة والافصاح عنه و هنا لابد من معرفة الأهداف التربوية والعقائدية من وراء ذكر هذه العلامة او تلک، حيث أن معرفة العلامات تعتبر حالة تعبئة (تثقيفية) تحصن المومن من مخاطر المتاهات الفكرية، علما بان الهدف الاساسى من ذكر العلامات هو:

– بعث الامل وزرع التفاؤل فى النفوس عبر مختلف القرون و الأجيال؛

– خلق حالة ايجابية فى روحية الانتظار و الإستعداد النفسى للظهور؛

– تحصين الأمة من الروايات الضالة والمنحرفة؛

من هذا نعرف أن علامات الظهور بشكل عام تجعل العلاقة بين الأمة و إمام زمانها عجل الله فرجه وذات ارتباط مستمر ومخزون روحى كبير تغذيه الروايات الشريفة الخاصة بالعلامات، ولذا صيغت الروايات بليغة كلية عمومية مقصودة، يمكن أن تنطبق على قرون مختلفة؛

ثالثاً: المحافظة على سرية حركة الظهور:

أن علامات الظهور هى اشبه برسائل خاصة من المعصومين عليهم السلام الى شيعتهم ومحبيهم برأى ومسمع من الأعداء، لذا لا نتصور أن يضع الرسول صلى الله عليه وآله و اهل بيته عليهم السلام اسرار الظهور فى متناول أجهزة الاستخبارات العالمية مما يودى الى فشل الحركة فى بداية انطلاقتها، ولذا نفهم سبب صياغة اخبار و علامات الظهور بصورة رمزية خاصة و بغموض مقصود بلغة كلية عامة مراعاة لحساسية هذه الأخبار لدى موسسات الكفر العالمى و امتداداته، وهذا ما يؤكد اعتماد لغة التمريز باعتباره جزء من مهمة المحافظة على السرية التامة و عدم الحاق الضرر بحركة اليوم الموعود.

رابعاً:

قراءة علامات الظهور بصورة شاملة: يتطلب من المومنين و الباحثين أن يقرأوا علامات الظهور كلها و بصورة دقيقة و شاملة، وليس كل علامة او خبر مستقل عن بقية العلامات و الاحداث، فلابد من ربط العلامة الواحدة بجميع العلامات والاحداث الأخرى المرتبطة بها خاتمة القول: عند الحديث عن علامات الظهور لابد من التاكيد على ثوابت اساسية وجوهرية بان تكون واضحة للجميع و من المسلمات:

إن قراءة العلامات يجب أن لاتشغلنا عن معرفة الأبعاد الاخرى للقضية المهدوية مثل الجوانب العقائدية وشرائط الظهور وواجبات الانتظار وتهيئة النفس، الابتعاد عن التوقيب المنهى عنه وعدم تصديق من يحدد سنة الظهور.

إجتناب إسقاط الروايات الشريفة أو تطبيق شخصيات عصر الظهور على واقعنا الحالى او على اشخاص بعينها وعدم الجزم عند تحديد القرائن للعلامات.

كذلك فى هذا السياق التأكيد على أن يكون الحديث ملامح يوم الظهور مقدمة لتقوية وزيادة ارتباط المومنين العاطفى بإمام زمانهم عليه السلام، حيث أن من واجبنا فى غصر الغيبة أن نعد أنفسنا لنكون من جنده لإحتمال ادراك زمن خروجه عجل الله تعالى فرجه الشريف، نسأل الله أن يوفقنا لذلك، فكم نحن مشتاقون لرؤية الإمام روحى فداه، و حريصون على الانضمام الى حركة الفتح التاريخية الفريدة.

الهوامش:

١. النعماني، «الغيبة»،، ج ١، ص ٣٠٢.

٢. الوافي، ج ٢، ص ٤٤٦.

المصدر: الشبكة المرتجى؛ www.almortaja.com

محمدتقي الموسوي الاصبهاني

ولايت الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف لله تعالى و ولايتنا له و ولايته علينا

من الامور العظيمة الباعثة للدعاء له عقلا و شرعا فهنا مقامات ثلاثة: المقام الأول: في ولايته لله تعالى: الولاية هنا بالفتح بمعنى المحبة، فكل من يحب الله فهو وليه، فجميع المؤمنين الصالحين أولياء الله عز و جل، و يدل على ذلك من الآيات قوله تعالى: **«أَلا إِن أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ الذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتقُونَ.»**[1] بناء على كون قوله عز و جل: **الذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتقُونَ تفسيرا للأولياء.**

و من الأخبار: ما رواه ثقة الإسلام في «إصول الكافي»: بإسناده عن **المفضل بن عمر**، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: **«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الصدود لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين، و نصبوا لهم و عاندوهم، و عنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم.»**[2]

و فيه أيضا: بإسناده عن **أبان بن تغلب**، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **«لما اسري بالنبي صلى الله عليه وآله قال: يا رب ما حال المؤمن عندك؟»** قال: **«يا محمّد! من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، و أنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي.»**[3]

و فيه أيضا: بسند صحيح عن الصادق عليه السلام قال: **«إن المؤمن ولي الله يعينه و يصنع له، و لا يقول عليه إلا الحق، و لا يخاف غيره.»**[4]

و فيه أيضا: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «**لقد أسرى ربي بي فأوحى إلي من وراء الحجاب ما أوحى، و شافهني** »– إلى أن قال لي–: «**يا محمّد، من أذل لي وليا فقد أرصدني بالمحاربة، و من حاربني حاربته**» قلت: **يا رب، و من وليك هذا؟ فقد علمت أن من حاربك حاربته**، قال لي: «**ذاك من أخذت ميثاقه لك و لوصيك و لذريتكما بالولاية.**»[5]

إذا عرفت ذلك، فنقول: لا ريب في وجوب حب أولياء الله و حسنه، كما لا ريب في وجوب بغض أعداء الله، بل هو من ضروريات مذهبنا، و يدل عليه العقل و النقل، أما الأول: **فلا يكاد يحتاج إلى البيان.**

و أما الثاني: فمتواتر، لكنا نذكر بعض الروايات تيمنا: منها: ما في «الكافي»: بسند صحيح عن أبي جعفر الثاني، عن أبيه، عن جده صلى الله عليه و آله، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «**إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة، و جعل له نورا و جعل له حصنا، و جعل له ناصرا.فأما عرصته فالقرآن، و أما نوره فالحكمة، و أما حصنه فالمعروف، و أما أنصاره فأنا و أهل بيتي و شيعتنا، فأحبوا أهل بيتي و شيعتهم و أنصارهم، فإنه لما اسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي و حب أهل بيتي و شيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة، ثم هبط بي إلى أهل الأرض، فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله عز و جل حبي و حب أهل بيتي و شيعتهم في قلوب مؤمني امتي فمؤمنو امتي يحفظون وديعتي إلى يوم القيامة.**

ألا فلو أن الرجل من امتي عبدالله عز و جل عمره أيام الدنيا، ثم لقي الله عز و جل مبغضا لأهل بيتي و شيعتي، ما فرج الله صدره إلا عن النفاق.»[6]

و منها: ما في اصول الكافي أيضا: بإسناده عن **يعقوب بن الضحاك**، عن رجل من أصحابنا سراج و كان خادما لأبي عبدالله عليه السلام قال: «**بعثني أبوعبدالله عليه السلام في حاجة –و هو بالحيرة– أنا و جماعة من مواليه**»، قال: «**فانطلقنا**»– إلى أن قال–: «**ثم جرى ذكر قوم**»، فقلت: «**جعلت فداك، إنا نبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول**»، قال: فقال عليه السلام: «**يتولونا و لا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟**» قال: قلت: «**نعم.**» قال عليه السلام: «**فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟**» قال: قلت: «**لا.**» جعلت فداك، قال عليه السلام: «**و هو ذا عند الله ما ليس عندنا، أفتراه أطرحنا؟**» قال: قلت: «**لا و الله، جعلت فداك، ما نفعل؟**» قال عليه السلام: «**فتولوهم و لا تبرؤوا منهم، إن من المسلمين من له سهم، و منهم من له سهمان.**» و هو طويل مذكور في باب درجات الإيمان من أصول الكافي.[7]

و فيه، في باب الحب في الله: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**من أوثق عرى الإيمان: أن يحب في الله و يبغض في الله، و يعطي في الله و يمنع في الله.**»[8]

و في الباب المذكور عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «**أي عرى الإيمان أوثق؟**» فقالوا: **الله و رسوله أعلم!** و قال بعضهم: **الصلاة** و قال بعضهم: **الزكاة**، و قال بعضهم: **الصيام**، و قال بعضهم: **الحج و العمرة**، و قال بعضهم: **الجهاد**، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: «**لكل ما قلتم فضل و ليس به، و لكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله و البغض في الله و توالي أولياء الله و التبري من أعداء الله.**»[9]

و فيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**كل من لم يحب على الدين، و لم يبغض على الدين فلا دين له.**»[10]

أقول: هذه نبذة من الأخبار الدالة على وجوب ولاية أولياء الله، و إذا تمهد ما ذكرنا فنقول: لا ريب في أنه كلما كان الإيمان أكمل كان الحب لأهله آكد، و كلما كان المؤمن أكمل فينبغي أن يكون حبك له أشد و أكمل، لأن هذه المحبة إنما هي بسبب الرابطة الإيمانية التي تكون بين المؤمنين، فبهذا التقرير يجب أن يكون حبك لإمام زمانك الذي هو أصل الإيمان و عروته و طود الولاية و ذروته أشد من حبك لجميع المؤمنين، بل يكون هو عليه السلام أحب إليك من أبيك و بنيك، بل من ذاتك كما دل على ذلك قوله تعالى:

«**قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**.»[11]

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، و يكون عترتي أحب إليه من عترته، و يكون أهلي أحب إليه من أهله، و يكون ذاتي أحب إليه من ذاته.**»[12]

ثم إنه لا يخفى أن الحب أمر قلبي، و كيفية نفسانية إلا أن له آثارا ظاهرة و آيات باهرة، بها يستدل درجات حبك للمحبوب، و شوقك إلى المطلوب.

منها: اهتمامك بالدعاء له إذا غاب، و اغتمامك له إذا اصيب بمصاب ألا ترى أنه إذا كان لك ولد صالح نقي بهي جميل نبيل يسرك النظر إليه فسافر سفرا لا تدري مكانه و معانه، فلا تنفك

ساعة من ليلك و نهارك من فكره و الدعاء له و طلب الدعاء من المؤمنين و الصالحين، هل هذا إلا لمكان المحبة و كمال المودة، فيا أيها المدعي حب مولاه هل يمضي عليك يوم لا تنساه؟! فأكثروا الدعاء في الغياب، و اغتنموا الفرصة فإنها تمر مر السحاب.

المقام الثاني: في بيان اقتضاء ولايتنا له شدة الاهتمام في الدعاء له، و هذا أمر ظاهر لا يخفى على أحد، لأن الطبائع مجبولة على الدعاء للمحبوب، و هذا واضح لا ينكره إلا لغوب و إنما الغرض هنا بيان لزوم تقديم الدعاء له على كل دعاء، و ذلك يتضح بذكر مقدمة شريفة و هي: أن أسباب الحب ثلاثة: اللذة، و النفع، و الخير، و أعظم هذه الأسباب و أكملها ثالثها بل نقول: إن السببين الأولين أيضا يرجعان إلى ذلك و المراد منه أن يكون وجود شيء خيرا بوجه من الوجوه، فإن الإنسان إذا علم وجود شيء أو شخص ذا خير أحبه طبعا و إن لم يصل إليه من خيره شيء فكلما ازداد خيرا ازداد الإنسان حبا له بحسب درجات معرفته بخيرات وجوده.

إذا عرفت ما ذكرناه فاعلم أن جميع الأسباب الباعثة للمحبة مجتمعة في وجود مولانا الحجة عجل الله فرجه.

أما اللذة: فأي لذة للمؤمن أعلى و أحلى من زيارة جماله، و التشرف بوصاله فإن فيه من اللذات الظاهرة و الباطنة ما لا أكاد احصيها و لذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يتأوه شوقا إلى رؤيته، كما في الحديث الذي رواه النعماني في غيبته.[13]

و أما النفع، فقد عرفت في الباب الثالث أن جميع المنافع إنما يصل إلى الخلق ببركات وجوده، مضافا إلى المنافع الخاصة المتوقفة على ظهوره و انتشار نوره.

و أما خيرات وجوده، فعقولنا قاصرة، و أفكارنا فاترة عن إدراكها، فما اوتينا من العلم إلا قليلا، لكن لكل امرىء فهم، و لكل مؤمن سهم، فمن كان معرفته بخيرات وجوده أتم، كان الدعاء له في نظره أهم، لأن الاهتمام في الدعاء ناش عن كمال المحبة و الولاء، و كمال المحبة ناش عن كمال المعرفة، و هذا أحد الوجوه لشدة اهتمام الأئمة عليهم السلام في الدعاء له عليه السلام و سؤال تعجيل فرجه من الملك العلام.

و سيأتي بعض الوجوه في صدر الباب السابع، مع زيادة شرح و بيان لهذا الوجه، فانتظر لتمام الكلام و تكميل هذا المرام.

فتحصل مما ذكرنا أن ولايتنا له تقتضي الإهتمام في الدعاء لفرجه، و كشف همه، أكثر من اهتمامنا في الدعاء لنفوسنا، و جميع ما يتعلق بنا، إن شاء الله تعالى.

المقام الثالث: في ولايته علينا: الولاية هنا بكسر الواو، بمعنى السلطنة و الاستيلاء، و المراد بولايته علينا هو ما نص عليه في قوله تعالى: «**النبِي أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.**»[14] كما مر صريحا في الحديث الذي رويناه في الباب الثالث في حق السيد على العبد، فراجع.

و مقتضى إذعانك بأنه أولى بك من نفسك في جميع ما يتعلق بك أن تجعله أولى منك في جميع ما تحبه لنفسك، و تجعل السعي في حاجته مقدما على حاجتك، و يحتمل أن يراد هذا المعنى من قوله عليه السلام في الزيارة الجامعة: «**و مقدمكم أمام طلبتي و حوائجي و إرادتي في كل أحوالي و اموري...**»،[15] فولايته عليه السلام تقتضي أن تقدمه على نفسك في جميع الامور، و قد مر في الحديث النبوي صلى الله عليه و آله ما يدل على ذلك، و من أهم ذلك: «**الدعاء فإنه مفتاح كل خير، و سلاح كل تقي، فينبغي أن تقدمه على نفسك، و كل من تحبه بالدعاء له بالفرج و العافية، و فيما ذكرنا في هذه المقامات جملة كافيه و دلالة شافية.**»

الهوامش:

١. سورة يونس، الآيتان ٦٢ و ٦٣.
٢. الكليني، «الكافي»، ج ٢، ص ٣٥١ ح ٢.
٣. نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٥٣، ح ٨.
٤. نفس المصدر، ج ٢، ص ١٧١، ح ٥.
٥. نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٥٣، ح ١٠.
٦. نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٦. ح ٣.
٧. نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٢، ح ٢.
٨. نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢٥، ح ٢.
٩. نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢٥.
١٠. نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢٧، ح ١٦.
١١. سورة التوبة، الآية ٢٤.
١٢. الشيخ الصدوق، «علل الشرائع»، ص ١٤٠، ح ٣.
١٣. النعماني، «الغيبة»، ص ٢١٤، س ٦.
١٤. سورة الأحزاب، الآية ٦.
١٥. المجلسي، «بحارالانوار»، ج ١٠٢، ص ١٥٣.

المصدر: الاصفهاني، محمّد تقى، «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عجل الله فرجه»، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ج ١، صص ٣٦٢–٣٦٨؛ بالتلخيص.

ماريا سلفادور (إيمان بشير)

ولدت **ماريا سلفادور (إيمان بشير)** في مدينة «برشلونة» بـ«إسبانيا»، ونشأت في عائلة مسيحيّة، ثمّ اعتنقت الدين الإسلامي وتمسّكت بمذهب أهل البيت(عليهم السلام) متأثّرة في ذلك بإسلام عدد من أصدقائها، ولقائها بأحد المسلمين اللبنانيّين.

وفيما يلي تتحدّث ماريا سلفادور عن نفسها قبل وبعد الاستبصار في حوار أجرته معها مجلّة «نور الإسلام» عندما كانت مقيمة مع زوجها اللبناني الدكتور **محمّد بشير** في منزلها الكائن في ضاحية بيروت الجنوبيّة:

السؤال: نودّ في البداية أن تعرّفينا على نفسك وعلى ظروفك العائليّة والدينيّة قبل اعتناقك للإسلام.

نعم، أنا إسبانيّة، ولدت ونشأت وتعلّمت في مدينة «برشلونة» الإسبانيّة الشهيرة، وقد كنت أعيش ضمن عائلة صغيرة تتكوّن من ثلاثة أبناء بالإضافة إلى الوالدين.. حياتنا كانت عاديّة على الصعيد الاجتماعي.

أمّا على الصعيد الديني، فصحيح أنّنا كنّا ننتمي للدين المسيحي بحكم المجتمع والبيئة، إلاّ أنّنا جميعاً وكأكثر العائلات لم نكن نهتّم بأيّ من تعاليمه، ولم نكن نمارس أيّ طقس من طقوسه الدينيّة، وهذا عائد إلى أنّ الدين قد فقدالاهتمام به في (أوروبا) بشكل عام إلاّ في بعض المظاهر الخارجيّة.

السؤال: ماذا كانت فكرة العائلة والمحيط عن الدين الإسلامي؟

مع أنّ إسبانيا في عمقها وتاريخها كانت بلداً إسلاميّاً لعدّة قرون، فإنّه وبسبب التجاهل المتعمّد لهذا التاريخ لم نكن نسمع بالإسلام أبداً، ولم نعرف عنه شيئاً، ولقد تفاجأنا تماماً حين تعرّفنا عليه وعلى ما يتضمّن من عقيدة سامية وتشريع، إذ كانت تسود في محيطنا فكرة أنّ الدين الإسلاميّ دين غير جدير بالاهتمام، دين متخلّف، وأنّ العرب والمسلمين قوم متخلّفون بدائيّون، دينهم دين إرهاب وتعصّب، وهذا الفهم كان بسبب التوجيه الخاطئ المتعصّب المقصود.

السؤال: المناهج التعليميّة لديكم ألم تكن تشير إلى الدين الإسلامي؟

مطلقاً، لم تعن مدارسنا سابقاً بالإشارة إلى هذا الدين أو التعريف عنه – هذا سابقاً – أمّا الآن فقد تغيّر الوضع تماماً، حيث أصبحت المناهج تتضمّن معارف عن الإسلام والعادات والتقاليد الإسلاميّة، وهذا يرجع إلى الانتشار الإسلامي الجديد والكثيف بيننا.

السؤال: حدّثينا بشكل مفصّل عن الظروف التي تعرّفت من خلالها على الإسلام وعلى دوافع اعتناقك له؟

في البداية كانت تربطني علاقة صداقة قويّة بعدد من الشبّان والشابّات الإسبان الذين كانوا يعتنقون الدين المسيحي شكليّاً مثلي، ثمّ بعد فترة وجيزة، بدأت أُفاجأ حين ألتقي بهم بالتغيّرات

التي أخذت تطرأ على طرق تفكيرهم وسلوكهم، وتوصّلت في النهاية إلى معرفة السبب ألا وهو اعتناقهم الدين الإسلامي بعدما اطّلعوا عليه، وقد صدمني هذا الأمر ودفعني إلى كثير من التساؤلات خاصّة بعد ارتداء بعض صديقاتي الزيّ الإسلاميّ والحجاب، فأخذت أُلاحقهنّ بكثير من الأسئلة عن سبب هذا التصرّف وجدوى هذا الحجاب، فانحصرت الإجابة عندهنّ بأن أفعل مثلهن وأتعرّف على الدين الإسلاميّ من خلال المنتمين إليه .

بعد عدّة محاولات من صديقاتي بدأت أتردّد معهنّ إلى المركز الإسلاميّ لأهل البيت(عليهم السلام) في برشلونة، وهناك كنت أستمع إلى بعض الأخوة الذين كانوا يبيّنون المفاهيم والعقائد الإسلاميّة ويجرّون النقاشات حول الإسلام. ولقد جذبني القرآن الكريم بشكل خاص، وبدأت قراءته باللغة الإسبانيّة، ولقد أحببت كثيراً ودائماً الذهاب إلى المركز لتلقّي الدروس الإسلاميّة، فبدأ ينمو في صدري نور جديد ويدخل في أعماقي، وقد ارتحت له كثيراً وسررت جدّاً بهذا الإيمان الجديد.

لكن صراعاً بدأ ينشأ في داخلي، من جهة حبّ اعتناق الدين الإسلاميّ ومن جهة أخرى الخوف من مواجهة أهلي ومجتمعي، فكنت خائفة وفرحة في آن واحد، فقد أصبحت أريد هذا الدين بكلّ قواي، ولكن كان من الصعب عليّ أن أُجاهر بالالتزام به على أنّني عزمت على اعتناقه سرّاً بدون معرفة أهلي، وبدأت أطبّق الكثير من شرائعه كالامتناع عن أكل اللحوم غير الشرعيّة، ممّا دفع والدتي إلى سؤالي عن السبب، وكان التبرير بأنّي لا أرغب في أكله دون أن أزيد.. فكان أهلي يفاجؤون دون أن يفهموا شيئاً ممّا طرأ لي.

وبعد فترة غير طويلة لم أعد أقدر على إخفاء اعتناقي للإسلام؛ لأسباب كثيرة منها: عمليّة النجاسة والطهارة في المآكل والملبس، الوضوء، القيام بالصلاة في أماكن غير طاهرة، فاعترفت عندها لأهلي بأنّني اعتنقت الدين الإسلاميّ، ولكنّهم في أوّل الأمر لم يفهموا شيئاً من قولي ذلك، لأنّهم ما كانوا يعلمون بماهيّة الدين الإسلاميّ، وما يطلّبه من اتباعه، وبعد ذلك مررت بفترة عصيبة مع أهلي؛ لأنّهم وقفوا في وجهي يعارضون قضيّة إسلامي، خاصّة ارتدائي الحجاب، حيث اعتبروني خارجة على المدنيّة.

ثمّ ما لبثت أن تعرّفت على زوجي (الدكتور محمّد بشير) في المركز فاطمة الزهراء(عليها السلام) سيّدة نساء العالمين التي كان لها دور كبير في المسيرة الإسلاميّة بالنسبة للمرأة، ولشدّة ما تأثّرت بمأساة عاشوراء و واقعة كربلاء حيث دخلت هذه الثورة إلى أعماق روحي، وزادتني تعلّقاً بهذا الدين وبآل البيت(عليهم السلام)، وخاصّة بأبي عبدالله الحسين(عليه السلام) ذاك الرجل العظيم الذي ذُبح وعُذّب مع آل بيته فداءً للدين الإسلامي.

السؤال: إلى أيّ مدى أحسست بالطمأنينة والراحة الداخليّة بعد اعتناقك الإسلام؟

عرفت الكثير من المشاكل في حياتي، وكلّها اختفت تدريجيّاً بعد معرفتي بالإسلام والالتزام، وإحساسي القويّ بالتسليم لأمر الله تعالى ومشيئته.

السؤال: على صعيد العلاقات الاجتماعية هل تشعرين بالفارق لدى ملاحظتك لعلاقة المسلمين ببعضهم مقارنة مع العلاقات الاجتماعيّة القائمة في الغرب؟

نعم، خاصّة على صعيد المرأة، حيث إنّ نظرة المجتمع الغربي للمرأة فيها تمييز وتجاهل لدورها الإنسانيّ، إذ تفضّل المرأة الجميلة على ما عداها، حيث تتاح أمامها كافّة المجالات، وهذه نظرة غير إنسانيّة تشعر الكثيرات بالكآبة، بينما نجد الإسلام قد أعطى المرأة حقّها كاملا في كلّ شيء إذ يعظّم المرأة ويحترمها ويقرّ المساواة بين جميع النساء مع إعطائهنّ حرّيّة مدروسة ومنطقيّة.

السؤال: على ضوء تجربتك ما هي الطريقة الأفضل التي يمكن للداعية المسلم أن يتّبعها عندما يريد أن يدعو للإسلام في الغرب؟

لابدّ أن يضع الداعية في حسابه أوّلا صعوبة الدعوة في الغرب بسبب الإشاعات والدعايات المضادّة التي تصل دائماً إلى بلادنا عبر وسائل الإعلام عن الدين الإسلاميّ، وهي في غالبها مشبوهة وباطلة، ولكنّها تجعل حاجزاً بين الإنسان الغربيّ والإسلام، فبالصبر والقدوة الصالحة وقوّة الإقناع يمكن أن ينال الداعية حظّاً من النجاح، وهنا عليه أن يفهم عقليّة الإنسان الغربيّ حتّى يستطيع أن يأتيه من الباب الصالح؛ ليحصل على نتيجة طيّبة، ومن الواجب أن توجد في كلّ بلد أجنبي غير مسلم مراكز إسلاميّة ثقافيّة مفتوحة تساعد وتمهّد للناس سبل التعرّف على الإسلام .

السؤال: كيف تقيّمين وضع المرأة المسلمة اليوم؟

المرأة هي ركن أساسيّ في المجتمع الإسلاميّ، فالمرأة أساس البيت الصالح والمجتمع الصالح، فمن واجباتها تربية أطفالها تربية حسنة، وأن تشيع في البيت جوّاً إسلاميّاً سليماً يحصّن العائلة من العوامل المضادّة.

وأعتقد أنّ المرأة المسلمة أصبحت واعية جدّاً اليوم لهذا الدور التربويّ الإسلاميّ الملقى على عاتقها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنّ ما يدعو للأسف أن نجد كثيراً من نساء المسلمين قد غرّتهن الحياة الغربيّة الفاسدة المفسدة، فأصبحن يقلّدن المرأة الغربيّة في كلّ شيء.. وهذا يتطلّب عملا مضاعفاً من الجميع كي يمكن إعادة هؤلاء إلى طريق الصواب الذي رسمه لهنّ الإسلام.

السؤال: هل من كلمة أخيرة تحبّين توجيهها؟

أدعو الله تعالى كي يفتح عقول وقلوب الناس هنا وهناك على طريق الإسلام؛ لأنّه الوحيد الذي ينتشل الإنسانيّة ممّا بها من مشاكل ومصائب وأمراض، ويفتح أمامها درب السعادة في الدنيا والآخرة، كما أدعو العاملين للإسلام كي يضاعفوا جهودهم لنصرة هذا الدين ونشره في الآفاق وأن يبقوا معتصمين بالوحدة والأخوّة الإسلاميّة.

المصدر: مجلّة «نور الإسلام»، العددان ٣٧ و٣٨، السنة الرابعة محرّم وصفر ١٤١٠هـ.، بتصرّف؛ موسوعة من حياة المستبصرين، مركز الأبحاث العقائدية، ج ٤، صص ١٨٥-١٩٠.

دار المعـــــاد

وصية النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ (٥)

قال **أبي الأسود:** قدمت الرّبذة فدخلت على أبي ذرّ جندب بن جنادة فحدّثني **أبو ذر**، قال:

دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده، فلم أر في المسجد أحدا من النّاس إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله و عليّ عليه السلام إلى جانبه جالس، فاغتنمت خلوة المسجد، فقلت:

يا رسول الله، بأبي أنت و أمّي أوصني بوصيّة ينفعني الله بها.

فقال:

«يا أبا ذر، و الّذي نفس محمّد بيده لو أنّ الدّنيا كانت تعدل عند الله (عزّ و جلّ) جناح بعوضة ما سقى الكافر و الفاجر منها شربةً من ماء.

يا أبا ذر، إنّ الدّنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلّا ما ابتغي به وجه الله (عزّ و جلّ).

يا أبا ذر، ما من شيء أبغض إلى الله من الدّنيا، خلقها ثمّ أعرض عنها فلم ينظر إليها، و لا ينظر إليها حتّى تقوم السّاعة، و ما من شيء أحبّ إلى الله (تعالى) من الإيمان به و ترك ما أمر أن يترك.

يا أبا ذر، إنّ الله (تعالى) أوحى إلى أخي عيسى عليه السلام:

يا عيسى، لا تحبّ الدّنيا فإنّي لست أحبّها، و أحبّ الآخرة فإنّها دار المعاد.»

يا أبا ذر، إنّ جبرئيل عليه السلام أتاني بخزائن الدّنيا على بغلة شهباء، فقال: **يا محمّد، إنّ هذه خزائن الأرض و لا تنقصك من حظّك عند ربّك (تعالى)**، فقلت: **حبيبي جبرئيل، لا حاجة لي فيها، إذا شبعت شكرت ربّي، و إذا جعت سألته.**

يا أبا ذر، إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدّين، و زهّده في الدّنيا، و بصّره بعيوب نفسه.

يا أبا ذر، ما زهد عبد في الدّنيا إلّا أثبت الله الحكمة في قلبه، و أنطق بها لسانه، و بصّره عيوب الدّنيا و داءها و دواءها، و أخرجه منها سالماً إلى دار السّلام.

يا أبا ذر، إذا رأيت أخاك قد زهد في الدّنيا فاستمع منه، فإنّه يلقي إليك الحكمة.»

فقلت: **يا رسول الله، من أزهد النّاس؟**

قال: «من لم ينس المقابر و البلى، و ترك ما يفنى لما يبقى، و من لم يعدّ غداً من أيّامه، و عدّ نفسه في الموتى.»

يتبع...

المصدر: «الأمالي»، الشيخ الطوسي، ج ١، صص ٥٣١.

باب الصـــــدق في التوكّل على الله عزّ وجلّ

اعلم: أنه لا بد للمريد– المحقق في إيمانه و المطالب لسلوك سبيل النجاة من معرفة ثلاثة أصول يعمل بها، فبذلك يقوي إيمانه و تقوم حقائقه و تثبت فروعه. هذه الاصول اولها الاخلاص، ثم الصبر ثم الصدق.

سنتحدث في هذا المقال الصدق في التوكل.[1]

قال الله عز و جل: «**فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**»[2] و قال تعالى: «**وَ عَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**»[3] و قال تعالى: «**اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِلِينَ**»[4]

و روي عن النبيﷺ أنه قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب و هم الذين لا يتطيرون و لا يكتوون و لا يسترقون و على ربهم يتوكلون.**»[5]

فالتوكل– في نفسه و موجوده في القلب، هو التصديق لله، عز و جل و الاعتماد عليه و السكون إليه و الطمأنينة إليه في كل ما ضمن و إخراج الهم من القلب بأمور الدنيا و الرزق و كل أمر تكفل الله به و العلم بأن كل ما احتاج إليه العبد من أمر الدنيا و الآخرة: فالله مالكه و القائم به، لا يوصله إليه غيره و لا يمنعه غيره مع خروج الرغبة و الرهبة و الخوف من القلب ممن سوى الله، تعالى و الثقة به و العلم الخالص و اليقين الثابت، أن يد الله المبسوطة إليه، الموفية له من كل ما طلب؛ فلا يصل إليه معروف إلا من بعد أمره و لا يناله مكره إلا من بعد إذنه.

و هكذا روي عن الفضيل، أنه قال: المتوكل على الله، الواثق به: لا يتهمه و لا يخاف خذلانه.

و كذلك المتوكل على الله: إذا ملكه الله تعالى شيئا من أمر الدنيا و فضل عنده، لم يدخره لغد إلا بالنية أن الشيء إنما هو لله و موقوف لحقوق الله و هو خازن من خزان الله، فإذا رأى موضع الحاجة سارع إلى الإخراج و البذل و المؤاساة و كان في الذي يملك و إخوانه سواء.

و إنما يجب ذلك عليه لأهل الستر خاصة و القرابة و أهل التقوى، ثم لعام المسلمين، إذا رآهم على حال ضرورة غير نقص حالهم.

و روي عن النبيﷺ أنه قال: «**ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال و لا بإضاعة المال و لكن الزهد في الدنيا: أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك و إذا أصابتك مصيبة كنت بثوابها: أفرح منك بما لو بقيت عنك.**»[6]

و قال بلال:[7] جئت إلى النبيﷺ و معي تمر فقال: **ما هذا؟** فقلت: **شيء ادخرته لإفطارك.** فقال: «**أنفق بلال و لا تخش من ذي العرش إقلالا، أما خشيت أن يكون له بخار في جهنم؟**»[8]

و روي عن **مسروق**[9] أنه قال: «أوثق ما أكون بالله إذا قالت الخادم: **ليس عندنا شي.**

قلت: **فالتوكل على الله تعالى: بالأسباب أو بقطع الأسباب؟**

قال: **بقطع أكثر الأسباب و تتخطى إلى المسبب، فتسكن إليه.**

قلت: **و هل يتداوى المتوكل، أو يتعالج؟**

قال: **الأمر في هذا على معان ثلاثة: و قد خص تبارك و تعالى بترك الدواء و الأسباب طائفة،** لقول النبيﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بلا حساب و هم الذين لا يكتوون و لا يسترقون و على ربهم يتوكلون.**»[10]

و قال النبيﷺ: «**ما توكل من اكتوى و استرقى.**»[11]

و ايضاً قالﷺ: «**من ردته الطيرة فقد قارن الشرك.**»[12]

و ما كان من سوى ذلك: فمباح لهم من سائر الناس و هو غير ناقص من توكلهم، إذا كان معهم العلم و المعرفة و كان نظرهم إلى رب الداء و الدواء، إن شاء أن ينفع بالدواء و إن شاء أن يضر. و قد يطلب شفاءه بالدواء فيكون فيه سقمه و قد مات غير إنسان من الدواء و قطع العرق و لما طلب الشفاء و قد يرجو منفعته في الشيء فتكون فيه مضرته و قد يخاف الضرر من شيء، فتكون فيه المنفعة.

فالصادق: **واثق، متوكل على ربه، فإنما توكل عليه، حين علم أنه حسبه من جميع خلقه، فلم يجد فقد شيء منعه الله، لأن الله حسبه و هو بالغ أمره.**

قلت: **فمن قال؛ أتوكل على الله لأكفى؟**

قال: لا يخلو هذا القول من معنيين: معنى: أن يكفيه مؤنة الجزع و الهلع، لا أنه يتحول عنه شيء قد قدره الله عليه أن ينزل به، بالتوكل.

فهذا: قولنا و قول من أثبت القدر.

و من قال: إنه يكفيه ما استكفاه لا محالة مثل قوله: لا يأكلني السبع لتوكلي و الذي يأتيني بطلب يأتيني بلا طلب، فالتوكل يدفع عني إذا استكفيته كل مؤنة كنت أخافها، فليس يعجبنا هذا القول؛ لأن المتوكل: قد يكفى و قد لا يكفى و توكله غير ناقص.

قلت: مثل ماذا؟ اشرح لي من ذلك شيئا.

قال: نعم، حيث ذبحت يحيى بن زكرياء: امرأة جبارة في طشت،[13] ألم يكن متوكلا؟!

و حين نشر زكرياءﷺ بالمنشار ألم يكن متوكلا؟!

و كذلك الأنبياء، قتلوا و نيل منهم المكروه و هم أقوى الخلق يقينا و أصدقه.

و هذا محمدﷺ حين هرب إلى الغار هو و أبو بكر فاختبأوا فيه و حين كسر المشركون رباعيتهﷺ[14] و أدموا وجهه ألم يكن متوكلا؟.

أفلا ترى أن التوكل إنما هو: **الاعتماد على الله، عز و جل و السكون إليه، ثم التسليم بعد ذلك لأمره، يفعل ما يشاء؟!**

و هكذا: روي عن **عبد الله بن مسعود:** «**وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ**»[15] قال: قاض أمره: **قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِ شَيْءٍ قَدْرا.**»[16]

قال: أجلا و منتهى ينتهي إليه العبد و ليس المتوكل بالذي يقول: تقضى حاجتي.

فهذا تفسير ابن مسعود: يخبر أن المتوكل على الله: هو الذي يلجأ إلى الله، تعالى و يعلم: أنه لا يتم شيء إلا من قبل الله، تعالى، الذي يعطي و يمنع بقدرته.

فالمتوكل على الله، تعالى: **لا يستوحش في حالة المنع و لا يستجلب بالمتوكل الإعطاء؛** لأن الحرص: لا يعطى و لا يمنع و الله، جل و عز: **مانع و معطي و قد يعطى العبد الشيء بلا توكل و يمنع و هو متوكل.**

فقد يرى المجوسي و الكافر و الجاحد و الفاجر، المضيع لأمر الله، عز و جل، الذي لا صدق له و لا يقين، فقد يرى هازلون: يكفرون و تقضى لهم الحوائج و المتوكل الصادق الموقن: لا تقضى له حاجة، حتى يموت ضراء و هزلاء.

و إنما التوكل: ترك السكون إلى أسباب الدنيا و نفي الطمع من المخلوقين و الإياس منهم، حين علم المتوكل: أنه صائر إلى المعلوم، فرضي بالله، تعالى و علم أنه لا يدرك بالتوكل: تعجيل ما أخر الله، تعالى و لا تأخير ما عجل و لكنه اكتسب إسقاط الهلع و الجزع و استراح من عذاب الحرص و راض نفسه بأدب العلم و المعرفة و قال: ما قدر سيكون و ما يكون فهو آت.

و كذلك قال بعض الحكماء: **انتقم من حرصك بالقنوع، كما تنتقم من عدوك بالقصاص.**

الهوامش:

١. القشيري، عبد الكريم، «الرسالة القشيرية»، المحقق:ابن شريف، محمود؛ محمود،عبدالحليم، قم، بيدار، ١٣٧٤، ص ١٦٢– ١٧٢.
٢. سوره آل عمران، الآيه ١٢٢ و ١٦٠.
٣. سوره المائدة، الآيه ٢٣.
٤. سوره آل عمران، الآيه ١٥٩.
٥. أخرجه البخاري في «الصحيح»، ج ٨، ص ١٢٤؛ مسلم في الصحيح، الإيمان، ص ٣٧١، ٣٧٢؛ و البيهقي في «السنن الكبرى»، ج ٩، ص ٣٤١.
٦. أخرجه ابن ماجه في «السنن»، ص ٤١٠٠ و ابن عدي في «الكامل في الضعفاء»، ج ٤، ص ١٧٦٩.
٧. بلال الحبشي (توفي ٢٠ هـ– ٦٤١ م.): بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله. مؤذن رسول اللهﷺ و خازنه على بيت ماله. من مولدي السراة، و أحد السابقين للإسلام، و كان شديد السمرة، نحيفا طوالا، خفيف العارضين، له شعر كثيف. و شهد المشاهد كلها مع رسول اللهﷺ و لما توفي رسول الله أذن بلال، و لم يؤذن بعد ذلك. و أقام حتى خرجت البعوث إلى الشام، فسار معهم. و توفي في دمشق. روى له البخاري و مسلم ٤٤ حديثا. («الأعلام»، ج ٢، ص ٧٣؛ و ابن سعد، ج ٣، ص ١٦٩.)
٨. أخرجه الطبراني، «المعجم الكبير»، ج ١، ص ٣٤٤.
٩. هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي (توفي ٦٣ هـ– ٦٨٣ م) أبو عائشة. تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. و سكن الكوفة. و شهد حروب علي. و كان أعلم بالفتيا من شريح، و شريح أبصر منه بالقضاء. («الأعلام»، ج ٧، ص ٢١٥؛ و «الإصابة»، ت ٨٤٠٨؛ «تهذيب»، ج ١٠، ص ١٠٩.)
١٠. سبق تخريجه.
١١. أخرجه الزبيدي، «إتحاف السادة المتقين»، ج ٩، ص ٣٨٩.
١٢. أخرجه أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٢٠.
١٣. الطشت: إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه لغسل الأيدي (ج) طشوت (يذكر و يؤنث.)
١٤. الرباعية: السن التي بين الثنية و الناب و هي أربع: رباعيتان في الفك الأعلى، و رباعيتان في الفك الأسفل(ج) رباعيات
١٥. سوره الطلاق، الآيه ٣.
١٦. سوره الطلاق، الآيه ٣.

المصدر: خراز، احمد بن عيسى، «الصدق أو الطريق السالمة»، بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الاولى، ص ١٤.

بنو العباس

محمدجواد مغنية

قامت الثورات ضد الامويين منذ اليوم الاول لحكمهم، و امتدت الى اليوم الاخير، و لكنها كانت في بدايتها ثورات ضيقة محدودة يقضي عليها الولاة في يوم او ايام، اما الثورة الكبرى التي عجزت امية عن مقاومتها و القضاء عليها فقد جاءت في عهد **مروان الحمار** آخر ملوك الامويين، حيث تمردت عليه القبائل و خرج الجيش و الشرطة عن طاعته، و تخلف الناس عن نصرته، و هان على كل انسان، و انفض انصاره من حوله، حتى ضاقت الدنيا في وجهه، و لم يجده بذل الاموال و الاغراء بالمناصب.

و كان يفر من الجيوش الزاحفة في اثره، و ينتقل من بلد الى بلد، و كلما وصل الى مكان لقيه اهله شر لقاء، قصد الموصل فشتمه سكانها، و اغلقوا ابواب مدينتهم في وجهه، ذهب الى قنسرين فوثب اهلها على جنده، فتركها الى حماة فاعتدوا عليه. رجع «الشام» فرد عنها، اتجه الى «فلسطين» فولوا وجوههم عنه، و هكذا تتبعه العباسيون، و هو يفر امامهم من بلد الى بلد حتى وصل الى قرية بوصير من اعمال «مصر»، فقتل بها في آخر سنة ١٣٢هـ، و بقتله انتهت خلافة بني امية، «فقطع دابر الذين ظلموا و الحمد لله رب العالمين».[١]

خير من الف شهر

قال **المسعودي**:

كان جميع ملك بني امية، الى ان بويع ابو العباس السفاح، الف شهر كاملة، لا تزيد و لا تنقص، لانهم ملكوا تسعين سنة، واحد عشر شهرا، و ثلاثة عشر يوما. و جاء في تفسير «الرازي» عن **القاسم بن فضل عن الاسلام الحسن**عليه السلام: **ان رسول الله**صلى الله عليه وآله **رأى في منامه بني امية ينزون على منبره نزو القرود، فشق ذلك عليه، فأنزل الله تعالى:** «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» **الى قوله** «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»

يعني ملك بني امية، قال **القاسم: فحسبنا ملك بني امية، فاذا هو الف شهر.**

العباسيون يستغلون الظرف

كان العالم الاسلامي في التهاب عام، و سخط شامل ضد الامويين، و كان المسلمون متجهون بعقولهم و قلوبهم الى ابناء علي دون غيرهم، لامور:

١. انهم اهل البيت عليهم السلام، و قد اختارهم الله لرسالته و وحيه، فبالأحرى ان يختارهم الناس لقيادتهم و تدبير شئونهم، بخاصة ان الثورة على الامويين قامت باسم الدين، و الخوف على شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، و ابناؤه هم الامناء على شريعته، و المحافظون على سنته، فاذا حكموا عملوا بسيرته من اقامة العدل، و احقاق الحق.

٢. انهم اول من ثار على الامويين و استبدادهم، و اول من عبر عن رأي المظلومين، و طالبوا بحقوقهم، و اول من استشهد من اجلهم، و من دفع الغرم فله الغنم.

٣. ان شيعة علي عليه السلام و ابناءه كانوا الحزب القوي المعارض الذي عمل في السر و الخفاء ضد الحكم الاموي، و بذل في هذا السبيل النفس و النفيس، و لاقى رجال الشيعة ما لاقاه الأئمة الاطهار عليهم السلام من التقتيل و التنكيل.

و يعزز هذه الاسباب ما قاله ابن الاثير من ان الناس كانوا يقولون للامويين بعد ان زال ملكهم: **الحمد لله الذي اتانا بأهل لبيت نبينا، و ان العباسيين كانوا يتذرعون بثأر الحسين و زيد و ولده يحيى!...**[٢]

لقد استغل بنو العباس سخط الرعية على بني امية، و معارضة الشيعة لحكمهم و تعلق الناس بالعلويين، و أظهروا ان غايتهم الاولى اسقاط الامويين، و اراحة الناس من ظلمهم، ثم يختارون من تتفق عليه الكلمة من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، فالعباسيون لم يقدموا في بدء الامر اشخاصا منهم و لا من غيرهم، و انما قدموا

المبدأ الذي يدافعون عنه، تماما كما فعلت «فرنسا» و«انكلترا» حين حاربت الاتراك، و زعمتا انهما يبتغيان تحرير البلاد العربية من الظلم، ثم تدعان البلاد لأهلها يقررون مصيرهم بأنفسهم، حتى اذا زالت دولة الاتراك استبدت فرنسا بـ«سورية» و«لبنان»، و تحكمت انكلترا بـ«العراق» و«الاردن»، و قدمت «فلسطين» لاسرائيل، قال فلهوزن:

كان العباسيون يعملون ما استطاعوا على ان يخفوا عن الناس انهم كانوا يريدون تنحية بني فاطمة، بل كانوا يظهرون انهم يعملون من اجل بني فاطمة، و ظهروا في خراسان و غيرها بدعوى انهم يريدون ان يثأروا لشهداء ابناء فاطمةعليها السلام... **و كان لا بد لهم ان يتخذوا حزب الشيعة عمادا لهم ازاء بني فاطمة، فاما ان يعتقد الشيعة ما يشاءون، و ان تكون سيرتهم في الحياة كما يحبون، فكان العباسيون يعتبرون ذلك مسألة يمكن حلها فيما بعد.**[٣]

ارتفع العباسيون باسم العلويين، و على اكتاف شيعتهم، ثم تنكروا لهم، و اشتدوا عليهم قسوة و عنفا، و قبل ان ندخل في التفاصيل نمهد بكلمة تظهر حقيقة بني العباس بوجه عام.

من هم بنو العباس؟

لا يفترق العباسيون عن بني امية في شيء، لا في الظلم و القسوة، و لا في الفسوق و الفجور، و لا في الاستهتار و الزندقة، فالغاية واحدة عند الجميع، و هي الانتفاع و الاستغلال، فالمبدأ واحد، و هو اللامبالاة بالدين؛ فالكل ركب متون الاهواء، و سلك طريق الضلال، من قطع الرءوس، و نصب المشانق، و هدم الدور على الاحياء، و ما ابراهيم و اخوه **السفاح** الا كـ**معاوية**، و ما **المنصور** و الرشيد الا كـهشام، و ما المتوكل الا **يزيد بن معاوية**، فلقد عرفنا حاكمين يتخذون من القتل وسيلة لتوطيد سلطانهم، او لحفظ الأمن بزعمهم، اما من ذكرناه من الامويين، و سنذكره من العباسيين فقد كان يقتل لا لسبب الا بدافع من الغدر و الاسراف في القتل.

حين ضاق الناس ذرعا بالامويين، و بلغ الاستياء ذروته من سياستهم ارسل ابراهيم الامام[٤] – اخو السفاح – **ابا مسلم الخراساني** الى «خراسان»، و قال له فيما قال: **احفظ وصيتي: انظر هذا الحي من اليمن، فاكرمهم و اسكن بين اظهرهم، فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم، و انهم ربيعة في امرهم، و اما مضر فانهم العدو القريب الدار، و اقتل من شككت فيه، و ان استطعت ان لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، و ايما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله!..**

و بعد ان نقل **المقريزي** هذا الكلام قال معقبا: **فأين اعزك هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعماله.**[٥]

و تالله لو نوجه ابو مسلم الى ارض الحرب، ليغزو اهل الشرك بالله، لما جاز ان يوصي بهذا، فكيف و انما توجه الى دار السّلام، و قتال ابناء المهاجرين و الانصار، و غيرهم من العرب لينتزع من ايديهم ما فتحه آباؤهم من ارض الشرك، ليتخذوا مال الله دولا، و عبيده خولا؟! و قد عمل ابو مسلم بوصية ابراهيم.

و أي فرق بين قول ابراهيم العباسي: **و اقتل من شككت فيه** و قول معاوية الاموي حين كتب الى عماله: **انظروا من اتهمتموه بموالاة اهل البيت فنكلوا به و اهدموا داره؟!** .. و ارسل السفاح **محمد بن صول** واليا على «الموصل»، فامتنع اهلها عن طاعته؛ و سألوا السفاح ان يولي عليهم غيره، فأرسل اليهم اخاه يحيى في اثني عشر ألف مقاتل، فخافه اهل الموصل، فنادى بالامان و لما أمنوا على انفسهم قتلهم قتلا ذريعا، و اسرف في التقتيل حتى غاصت الارجل في الدماء، فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء اللاتي قتل رجالهن، فأمر بقتل النساء و الاطفال. و استمر التقتيل ثلاثة ايام! ...[٦]

و اذا اعطفنا هذه الحادثة على وصية ابراهيم علمنا ان بني امية لم يسبقوا العباسيين في الظلم و الاستبداد، و لو كنا ممن يؤمن بالتناسخ لقلنا ان روح معاوية تقمصت في ابراهيم، و روح الحجاج في يحيى.

السفاح

اسمه **عبد الله**، و كنيته **ابو العباس**، و لقبه السفاح، و هو اول من تولى الحكم من العباسيين، بويع سنة اثنتين و ثلاثين و مائة، و مات سنة ست و ثلاثين و مائة، فكانت ايامه اربع سنين و اشهرا، قضاها في تتبع الامويين و القضاء عليهم، و على اتباعهم، و من كان قد اتصل بهم من قريب او بعيد، فكان

السفاح لا يسكن و لا يهدأ ما علم ان في اموي عرق ينبض، و فوق ذلك لم يكن لمن يشك ولاءه، او يخشى تغييره في المستقبل إلا حد السيف، كما فعل بأبي سلمة الخلال، و كما صنع عامله يحيى في الموصل، و عمه **داود** في «الحجاز»، و عمه **سليمان في البصرة**، و ابو مسلم في خراسان، فقد انكر في بخارى **شريك ابن شيخ المهري** على ابي مسلم قسوته، و طالب بالحق و العدل، و قال: **لم نبايع بني العباس على سفك الدماء و قتل الأنفس، فقتله ابو مسلم، و نكل برجاله، و كانوا ثلاثين ألفا.**

اشتهر السفاح بهذا اللقب، لكثرة ما سفك الدماء، فمما رواه المؤرخون انه استدرج ثمانين من بني امية، و امرهم ان يحضروا لأخذ الجوائز و العطايا، و تناول الطعام، فلما حضروا امر بقتلهم، ثم بسط عليهم فراشا، و جلس فوقه يأكل، و هم يضطربون تحته و يصرخون، فلما فرغ قال: **ما أكلت أكلة قط أهنأ و لا أطيب لنفسي منها.** و اذا كان الامويون مستحقون للقتل فان دعوتهم الى وليمة، ثم قتلهم و الاكل على جثثهم تجعل القاتل شريكا في الجرائم و الرذائل التي اتصف بها الامويون.

و كان كثير من الناس، و بخاصة الشعراء، يغرون العباسيين ببني امية، و يحثونهم على الفتك، و كانوا يلتمسون ادنى المناسبات ليذكروا الاسرة المالكية بشر ما فعله الامويون الا ابناء علي فقد كانوا ينهون العباسيين عن الاسراف بقتل الامويين، و يوجدون الاعذار لمن بقي منهم مع ان اكثر مظالم الامويين كانت تقع على ابناء علي، و لكن ابناء المؤمنين اصحاب عقيدة و مبدأ لا اصحاب شهوات و اغراض، انهم اولاد الذي عفا عن ابن العاص في صفين، و عن مروان يوم تجمل، و سقى معاوية الماء بعد ان منعه منه، و قال: اذا قدرت فاجعل العفو شكرا على المقدرة، و لا بدع انهم اهل‌بيت العدل و التقوى. قال ابن الاثير: **لما اراد داود قتل من كان من الامويين في مكة»و المدينة، قال له عبد الله بن الحسن بن الحسن: يا اخي اذا قتلت هؤلاء، فمن تباهي بالملك؟! اما يكفيك ان يروك غاديا رائحا فيما يذلهم و يسوءهم؟! فلم يقبل منه، و قتلهم.**[7] و كان من المتوقع ان يحابي السفاح ابناء علي و شيعتهم، و يقربهم و يفضلهم على الناس اجمعين، لانهم كانوا و العباسيين حلفاء و حزبا واحدا ضد الامويين، و كان العباسيون يموهون على الناس بأنهم يدعون الى ابناء علي، لانهم اقرب الى القلوب من العباسيين و أعظم شأنا و منزلة عند المسلمين، و لكن بني العباس غيروا سياستهم بعد ان اصبحت السيادة في ايديهم فتنكروا للعلويين و شيعتهم، و أوعزوا الى الشعراء ان يعرضوا بأولاد علي، و ينفوا عنهم حق الخلافة، قال **محمد احمد براق: ان اصل الدعوة كان لآل علي، لان اهل خراسان كان هواهم في آل علي لا آل العباس، لذلك كان السفاح، و من جاء بعده مفتحة عيونهم لأهل خراسان، حتى لا يتفشى فيهم التشيع لآل علي عليهم السلام... و كانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم، فيقدمون لهم الجوائز، و كان الشعراء يعرضون بابناء علي عليهم السلام و ينفون عنهم حق الخلافة، لانهم ينتسبون الى النبي صلى الله عليه وآله عن طريق ابنته فاطمة عليها السلام، اما بنو العباس فانهم ابناء عمومة.»**[8]

هذا، الى ان العباسيين تركوا مذهب اهل البيت عليهم السلام، و اعتنقوا مذهب التسنن، خوفا ان ينتشر التشيع، و ينتقل الحكم الى العلويين، و بهذا سار العباسيون على نفس الطريق الذي سار فيه الامويون سياسة و عقيدة و عملا. و الخلاصة ان السفاح لم يقتل احدا من الشيعة، و لم ينكل بهم علنا كما فعل من جاء بعده من العباسيين، لأنه اولا كان مشغولا بخصومه الامويين و استئصالهم، و ثانيا كان و الشيعة بالأمس القريب يدا واحدة ضد بني امية، و قد أدوا مهمتهم على أكمل الوجوه و ساعدوا على وصوله الى الحكم، و ثالثا كان يقيم في الكوفة، و اتخذها عاصمة له، و اهلها من شيعة علي، و لم يكن له من القوة ما يقاومهم بها.

و مهما يكن، فان في هذه الفترة من أخريات الامويين، و اوليات العباسيين كانت فرصة مواتية للامام محمد الباقر، و ولده الامام جعفر الصادق الى بث علوم اهل البيت، و نشرها على الناس، و كان من اثرها هذه الاحاديث التي اغنت المكتبة العربية في شتى العلوم بخاصة التشريع و الفلسفة و التفسير و الاخلاق.

الهوامش:

١. سورة الانعام، آية ٤٥.
٢. ابن اثير، «الكامل في التاريخ»، ج ٤ ص ٣٣٠ و٣٣٢.
٣. فلهوزن، يوليوس، «تاريخ الدول العربية»، ص ٤٨٩.
٤. قبض مروان الحمار على ابراهيم، و مات في حبسه مقتولا او مسموما.
٥. مقريزي، تقى الدين، «النزاع و التخاصم فى ما بين بنى امية و بنى هاشم».
٦. ابن اثير، «الكامل في التاريخ»، ج ٤، ص ٣٤٠، الطبعة ١٣٥٧هـ.
٧. ابن اثير، «الكامل في التاريخ»، ج ١ ص ٣٤
٨. محمد احمد براق، «ابو العباس السفاح»، ص ٤٨.

المصدر: مغنية، محمدجواد، «الشيعة والحاكمون»، بيروت، دار الجواد، الطبعة الالثمانية، ١٤٢١هـ، صص ١٣٣-١٤٠

صاحب حوض النبيّ صلى الله عليه وآله

روى **الطبرانى** بإسناده عن **جابر** و**أبى هريرة** قالا:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«علىّ بن أبى طالب صاحب حوضى يوم القيامة؛ فيه أكواب كعدد النجوم ، وسعة حوضى مابين الجابية و صنعاء.»[1]

❊❊❊

قال رسول الله صلى الله عليه وآله أوّلكم وارداً على الحوض أوّلكم إسلاماً: «علىّ بن أبى طالب عليه السلام.»

الهوامش:

١. «المعجم الكبير»، ج ٣، ص ٢٧٦.
٢. «المناقب» للخوارزمى، ص ٥٢.

المصدر: عبدالرّحيم مبارك، «خيرالبريه و الألطاف الإلهيه»، دارالعلوم، بيروت، الطبعه الاولى، ١٤٢٣هـ.ق.، ص ٤٢٥.